الخلاف في

المصطلح النحوي بين نحاة البصرة والكوفة

الدكتـــور

شريف إبراهيم بحيرى الجمل

أستاذ العلوم اللغوية المساعد

كلية التربية – جامعة طنطا

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمـــد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد،

فكلمة مصطلح من حيث البنية الصرفية: مصدر ميمى أو اسم مفعـــول بتقدير جار ومجرور محذوف، أى المصطلح عليه من الفعل صلح، أما اصطلاح فمصدر الفعل اصطلح؛ لذا يفضل كثير من المحـــدثين [١] اســـتخدام كلمـــة اصطلاح على كلمة مصطلح.

انتقلت كلمة (المصطلح) من المعنى اللغوى إلى المعـــنى العلمـــى المجـــرد (الاصطلاحى) شأن كلمة (النحو)، وهما كغيرهما من الألفاظ والتعبيرات التى اتخذت مدلولها العلمى (الاصطلاحى) بعد أن غبرتِ طويلاً تعـــرف بمعناهـــا اللغوى (فالإعراب) مثلاً كان يدل على معان كثيرة، وأصبح يعنى اخـــتلاف أواخر الكلم، وكذلك (النحو) الذى أصبح أيضاً يعنى العلم بأصول يعرف بها أحوال الكلم إعراباً وبناء أواخر[٢].

والمصطلح: لفظ أو رمز يتفق عليه فى العلوم والفنون للدلالة علـــى أداء معنى معين .

ولكلمة (المصطلح) دلالتان:

الأولى: الدلالة اللغوية وهى مأخوذة من أصل المادة (صلح) قال الأزهرى: الصلح: تصالح القوم بينهم، والصلاح: نقيض الفساد، والاصطلاح نقـــيض الإفساد، وتصالح القوم، واصالحوا بمعنى واحد[٣].

---

(١) انظر: د. يحيى عبد الرءوف، الاصطلاح مصادره ومشاكله وطرق توليده، ص١٤٣.

(٢) الفاكهى، الحدود النحوية، ص١٠٩.

(٣) انظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ٤/ ٢٤٣، وابن منظور، لسان العرب، مادة (صلح).

والثانية: الدلالة العلمية (الاصطلاحية) وتعنى: اتفاق جماعة على أمر مخصوص. وهذا الاتفاق والتواطؤ أو التصالح إن تم بين جماعة المحدثين تفتق عن مصطلح فى الحديث. وإن قام بين جماعة الفقهاء على مسائل فى الفقه نتج عنه مصطلح فى الفقه، وإن كان بين جماعة من النحاة صنعوا مصطلحاً نحوياً، وقل مثل ذلك فى سائر العلوم.

فكلمة (الاصطلاح) إذن تعنى (الاتفاق)، وهذا الاتفاق بين النحاة على استعمال ألفاظ فنية معينة فى التعبير عن الأفكار والمعانى النحوية، وهو ما يعبر عنه بالمصطلح النحوى .

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن المعنى اللغوى قد امتد إلى المعنى الاصطلاحى لكلمة مصطلح أو اصطلاح عند كثير من اللغويين قدامى ومحدثين، فوجدناهم يشترطون الاتفاق لما يسمى مصطلحاً فى تعريفاتهم: يقول على الجرجانى: "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشىء باسم ما، ينقل عن موضعه الأول... الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى... وقيل الاصطلاح لفظ معين من بين قوم معينين"[١].

والاصطلاح لفظ "تتعارف عليه فئة بعينها لمعنى بعينه"[٢].

ويعترض بعض المحدثين على هذا الشرط بأن القرآن جاء بكثير من الألفاظ التى يمكن أن تعد من قبيل الاصطلاحات كالصلاة، والصوم، والزكاة، إذ خرجت هذه الألفاظ عن معناها اللغوى، إلى معنى آخر اصطلاحى، ولا يمكن القول بأن معناها الاصطلاحى هذا ناشئ عن اتفاق[٣]، وعليه فإن تعريف

---

(١) التعريفات، ص٤٤ ومابعدها.

(٢) د. يحيى عبد الرءوف، الاصطلاح، مصادره وطرق توليده، ص١٤٤.

(٣) د. عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، ص١١٧ وما بعدها.

المصطلح الأمثل هو "اللفظ أو الرمز اللغوى الذى يستخدم للدلالة على مفهوم علمى، أو عملى، أو فنى، أو أى موضوع ذى طبيعة خاصة، وهذا التعريف يضع فى حسابه أن المصطلح قد يكون لفظاً، وقد يكون رمزاً لغوياً"(١).

أما الغربيون، فيرون أن تعريف المصطلح (Term) ينبغى أن تربط المفهوم بالمصطلح الذى يدل عليه، من ذلك أن المصطلح عبارة عن "كلمات تستخدم للتعبير عن فكرة، خاصة عن مفهوم (Concept) معين"(٢). وأمثال هذا التعريف تظهر تأثراً واضحاً بالنظرية العامة لعلم المصطلح، التى تجعل المفاهيم منطلق البحث، وتجعل المصطلحات وسيلة للتعبير عنها.

وتؤكد تعريفات أخرى لديهم أهمية التحديد الدقيق لمعنى المصطلح، وكذلك أهمية انتمائه إلى مجال محدد ينسب إليه، فتجعل "كلمة (word) أو عبارة (Phrase) تحمل معنى محدداً، فى مجال محدد" (٣). وهذا منطلق "أفاد من نظرية المجال الدلالى فى علم اللغة، ومن النظرية العامة لعلم المصطلح، وتعد الدلالة المحددة الواضحة أهم السمات التى تميز المصطلح عن باقى الكلمات فى اللغة العامة، فالمصطلح لابد أن يكون بدلالة واضحة واحدة فى داخل التخصص الواحد، على العكس من الكلمات الأخرى التى يتحدد معناها عن

---

(١) السابق، ص١١٨.

(٢) A. S. Hornby with A. P. Cowie, A. C. Gimson:- Oxford advanced learners's dictionary of current English ١٩٧٤, p.٨٩١.

(٣) William D. Halsey. Dictionary Macmillan, P. ١٠٢٨.

طريق السياق، وتتعدد دلالات كل كلمة منها"[١]. والتعريف السابق للمصطلح أيضاً يجعله غير مقصور على الكلمة المفردة، فالمصطلح قد يكون كلمة أو مجموعة من الكلمات (عبارة).

ومما سبق، فإن المصطلح كلمة أو رمز يعبر عن فكرة أو مفهوم بطريق التواضع والاتفاق. ومن ثم فإن المصطلح النحوى هو اتفاق النحاة على استعمال ألفاظ معينة فى التعبير عن الأفكار والمعانى أو المفاهيم النحوية.

أما انتساب (المصطلح) هنا إلى (النحو) وقولنا (المصطلح النحوى) فيعنى تحديد دائرة الاصطلاح فى ميدان النحو لتخصيصه بالبحث، كما تخصص لفظ (النحو) من قبل بالبحث فى قواعد العربية، وأصبح يعنى العلم بأصولها وإعرابها.

أما المدرسة النحوية فى الاصطلاح فتعنى: "وجود جماعة من النحاة يصل بينهم رباط من وحدة الفكر والمنهج فى دراسة النحو، ولابد أن يكون هناك الرائد الذى يحدد الخطة ويرسمها، والتابعون أو المريدون الذين يقتفون خطاه، ويتبنون منهجه، ويعملون على تطويره والدفاع عنه، فاستمرار النظرية – أو المنهج– ودوامها عبر السنين شرط أساس لتكون المدرسة التى لا يمكن أن تستحق هذا الاسم، أو يعترف بوجودها بمجرد مولد النظرية أو خلقها، حتى تعيش ويكتب لها البقاء لبعض الوقت بين المريدين"[٢].

والمذهب النحوى يعنى: "الأدلة التى تعتمد عليها المسائل النحوية والأصول التى ترتكز عليها قواعدها"[٣].

---

(١) د. محمود فهمى حجازى، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص١٢.

(٢) د. أحمد مختار عمر، البحث اللغوى عند العرب، ص٩٠.

(٣) د. عبد العالم سالم مكرم، المدرسة النحوية فى مصر والشام، ص٤١٦.

هناك شروط لابد من توافرها حتى يصح إطلاق لفظ (المدرسة) أو المذهب، وهذه الشروط هى[١]:

١- وجود جماعة من النحاة يجمع بينهم وحدة الفكر والمنهج.

٢- وجود شيخ لهذه المجموعة ينظم نشاطها، إذ يضع الخطة ويحدد المنهج.

٣- وجود تلامذة يلتفون حول شيخهم، ينهلون من علمه ويسيرون وفق خطته، ويتبنون منهجه؛ لأن المدرسة لا تكون "إلا أستاذاً مؤثراً وتلاميذ متأثرين"[٢].

وتكمن أهمية هذا البحث من كونه يتمحور حول المصطلح النحوى بين نحاة البصرة والكوفة، وكيفية استخدامه، وهذا يرتبط بالحديث عن أبرز سمات هاتين المدرستين، وأسباب الخلاف بينهما ومن ثم، فإنه يمثل الأيدلوجية التى على أعتابها يمكن سبر أعماق المصطلح النحوى عند المدرستين، وأهم الخلاف فيه بينهما.

لقد وجد الخلاف بين المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية فى استخدام المصطلح النحوى، والدليل على ذلك ما وصل إلينا من مؤلفات تمثل أقطاب هاتين المدرستين، بحيث كان التعبير عن الموضوعات النحوية متغايراً بينهم، ولكن ما يجدر قوله أن المصطلح النحوى البصرى هو الذى ذاع صيته واشتهر بين النحاة حتى عصرنا الحاضر.

أما المدرسة الكوفية فيمكن حصر المصطلحات النحوية التى اشتهرت عنها بالنعت وعطف النسق. ويرتبط ذلك بالأسلوب الذى اتبعه كل منهما فى

---

(١)د. وليد حسين، نظرية النحو العربى- فى ضوء تعدد أوجه التحليل النحوى- ص٤٣٥ وما بعده.

(٢)د. عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية، ص١٤٧.

السماع والقياس اللغوى على اعتبار أنهما الأداة التى من خلالها تم استقراء لغة العرب وتقنينها، بغية الحفاظ على النص القرآنى، ونزاهته من لحن القول.

وقد قسمت البحث بعد المقدمة إلى تمهيد وفصلين وخاتمة.

فأما التمهيد: فقد درست فيه مبحثين هما: المبحث الأول: التعريف بمدرسة البصرة.

المبحث الثانى: التعريف بمدرسة الكوفة.

وأما الفصل الأول: فقد تناولت فيه أسباب الخلاف فى المصطلح النحوى بين البصريين والكوفيين.

وأما الفصل الثانى: فقد درست فيه أنماط الخلاف فى المصطلح النحوى بين البصريين والكوفيين.

ثم كانت الخاتمة، وفيها عرضت لأهم نتائج البحث. وألحقت بالبحث قائمة المصادر والمراجع التى استعنت بها. وحللت آراء نحاة البصرة والكوفة معتمداً على المنهج الوصفى التحليلى.

وبعد.

فهذه محاولة قمت بها جاداً مخلصاً، فإن كانت نافعة فبها ونعمت، وإن كانت الأخرى فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

صدق الله العظيم

(سورة الكهف/١٠)

۞۞۞

التمهيد

ينقسم التمهيد إلى مبحثين رئيسين هما:

١- التعريف بمدرسة البصرة.

٢- التعريف بمدرسة الكوفة.

(أ) مدرسة البصرة:

الحديث عن مدرسة البصرة هو الحديث عن النحو العربى منذ نشأته حتى عصرنا الحاضر، فالذى لا شك فيه أن النحو – بصورته المعروفة– نشأ بصرياً وتطور بصرياً، لحفظ القرآن الكريم من اللحن.

يعد عبد الله بن أبي إسحق الحضرمى رأس المدرسة البصرية ومؤسسها الأول[١]، فكان أول من نهج النحو ومد القياس والعلل[٢]؛ فكان يقضى بشموله والحكم بالخطأ على مخالفته. وهو صاحب منهج القياس المجرد[٣] الذى يوجب الأخذ بالقياس ولو خالف الشواهد اللغوية، وقد تبع الحضرمى فى تجريد القياس ومد التعليل عيسى بن عمر الثقفى الذى يعد أبرز تلاميذ الحضرمى[٤].

وتعد مدرسة البصرة واضعة النحو العربى. يقول ابن سلام: "وكان لأهل البصرة فى العربية قدمة وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية"[٥].

ويقول ابن النديم عن نحاة الكوفة والبصرة: "إنما قدمنا البصريين أولاً؛ لأن علم العربية (أى النحو) عنهم أخذ"[٦].

---

(١) د. شوقى ضيف، المدارس النحوية، ص٢٢ .

(٢) القفطى، إنباه الرواة، ٢/ ١٠٥. وأبو الطيب اللغوى، مراتب النحويين، ص١٢.

(٣) الأنبارى، نزهة الألباء، ص٢٦.

(٤) د. وليد حسين، نظرية النحو العربى، ص٤٤٥.

(٥) طبقات فحول الشعراء، ص١٢.

(٦) الفهرست، ص١٠٢.

لقد"تحدث نحاتها عن العامل والمعمول وقدموا الأساس النظرى والتطبيقى الخاص بهما، وتوقفوا أمام علل النحو وكان الخليل رائداً فى هذا المجال، واهتموا بالقياس وأركانه وكيفية الإفادة منه فى المجال النحوى؛ بالإضافة إلى جهودهم فى مجال وضع المصطلحات النحوية وتحديد المفهوم الخاص بكل واحد منها، ولم يستطع أحد أن يغيرها أو ينال منها؛ لذلك حين أراد الكسائى والفراء وثعلب أعلام مدرسة الكوفة تغييرها وابتكار مصطلحات جديدة، لم يلتفت أحد إلى ذلك، واستمرت مصطلحات البصريين هى الأساس"[١].

ويكاد الدارسون يجمعون على أن النحو العربى نشأ لحفظ القرآن من "اللحن" وهم يقدمون فى ذلك روايات كثيرة عن "أبى الأسود الدؤلى وصنيعه فى النحو من أنه نفسه وضع النحو، أو أنه أخذه عن سيدنا على بن أبى طالب -ﷺ- حين وضع له أبواباً وقال له: انح هذا النحو... إلى آخر تلك الروايات" [٢].

وعلى ذلك، فإن علم النحو الذى نما وشاع حتى يومنا هذا هو النحو البصرى، فجميع ما يتعلق بالمصطلحات والأصول النحوية وردت عنهم، وذلك أنهم سبقوا الكوفيين فيه – وإن استدراكات الكوفيين فيه كانت بسيطة تتعلق بالفروع النحوية ومرد ذلك أنهم أخذوا علمهم عن البصريين- ويمكن القول هنا إن شهرة البصريين تأتت لهم من خلال أسلوبهم فى استقراء اللغة من مصادرها حيث اعتمدوا على السماع والقياس، وكانت طريقتهم فى السماع أنهم قيدوا ذلك بمقاييد محددة، مثل: البيئة والمكان والثقة والكثرة، وقد اشترطوا، وحددوا عمن يأخذون اللغة، وقيدوا ذلك بالقبائل البدوية التى

---

(١) د. محمود ياقوت، النحو العربى، ص٣٧٧ ومابعدها.

(٢) د. عبده الراجحى، دروس فى المذاهب النحوية، ص٩.

حافظت على لغتها، وكانت بعيدة كل البعد عن مخالطة الحواضر والعجم وحددوها بأسد وتميم وقيس، وأخذوا من هذيل، وبعض كنانة وبعض الطائيين. كما روى أن الكسائى أعجبه علم الخليل، فسأله من أين علمك؟ فأجابه: من بوادى الحجاز ونجد تهامة، وهذا يجسد دقة البصريين فى الأخذ عن القبائل العربية الخالصة البداوة، وهم يتفاخرون فى ذلك، ويدلل عليه قول الرياشى: "نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب، وأكلة اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ، وأكلة الشوارىز"[١].

ومما يزيد ذلك أنهم كانوا لا يروون إلا من يثقون بهم كل الثقة، لذلك خرج من مصادرهم كثير من القبائل العربية؛ لمخالطتهم العجم، أو لشيوع اللحن فيه، ومن أمثلة السماع أن سيبويه فى باب ما تكون فيه أنّ وأنْ مع صلتهما بمنزلة غيرهما من الأسماء، قال: قولك: "ما أتانى إلا أنهم قالوا: كذا وكذا" فأن فى موضع اسم مرفوع كأنه قال: "ما أتانى إلا قولهم كذا وكذا" ومثله قولهم: "ما منعنى إلا أنْ يغضب علىّ فلان" والحجة على أنّ هذا فى موضع رفع أنّ أبا الخطاب حدثنا أنه سمع من العرب الموثوق بهم من ينشد هذا البيت رفعاً: (بسيط)

لم يمنع الشربَ منها غيرَ أنْ نطقت ... حمامةٌ فى غصون ذات أوقال

وزعموا أن ناساً من العرب ينصبون ذلك، وموطن الشاهد فى البيت هو "غيرُ" مبنية على الضم فى محل رفع فاعل، والمصدر المؤول (أن نطقت) فى محل جر بالإضافة، ويروى بفتح غير، فيكون المصدر المؤول فاعل[٢].

وأما جانب القياس فقد اعتمدوا على أسس عقلية منطقية حيث لا

---

(١) أبو سعيد السيرافى، أخبار النحويين البصريين ومراتبهم، ص٩٩.

(٢) الكتاب، ٢/ ٣٢٩ وما بعدها. وانظر: الأعلم الشنتمرى، تحصيل عين الذهب، ص٣٦٦.

يقيسون إلا على الكثرة المطردة، وأغفلوا جانب القلة والشاذ حتى أنهم كانوا يقفون مع ذلك بالتأويل، والتعليل حتى ينقاد مع أقيستهم المطردة، وقد عرف عنهم ولعهم بالقياس حتى أن بعض النحويين المحدثين وصفوهم بغلبة القياس عليهم، فقد روى الزبيدى أن "أول من بعج النحو ومد القياس، وشرح العلل هو عبد الله بن أبي إسحاق"(١).

وروى السيرافى: "كان الخليل الغاية فى استخراج النحو، وتصحيح القياس فيه"(٢) وقد ذكر سعيد الأفغانى أن لموقع البصرة على سيف البادية ووجود سوق المربد فيها أثره فى فصاحة أهل البصرة وسلامة لغتهم(٣).

وإلى جانب اهتمام الخليل بالقياس وتصحيحه نجده يولى العلل النحوية اهتمامه فأبدع فى ذلك على نحو لم يسبق إليه أحد(٤).

ومن أمثلة القياس أن سيبويه كان يقيس اسم الفاعل على الفعل المضارع فى العمل فيقول: "وقولك: هذا ضاربٌ زيداً غداً، فمعناه وعمله مثل: هذا يضرب زيداً غداً"(٥).

وأما قضية الثقة بالراوى فيدلل عليه أن الأصمعى قال: قلت للطرماح: أين نشأت؟ قال: "بالسواد، والشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة، ولكن أكثره نوع منسوب إلى من لم يقله، وذلك بين فى دواوينهم"(٦).

---

(١) أبو بكر الزبيدى، طبقات النحويين واللغويين، ص٣١.

(٢) أخبار النحويين البصريين ومراتبهم، ص٥٤.

(٣) من تاريخ النحو، ص٦٤ وما بعدها .

(٤) الزبيدى، طبقات النحويين واللغويين، ص٤٧. وانظر: الزجاجى، الإيضاح فى علل النحو، ص٦٥ وما بعدها.

(٥) انظر: سيبويه، الكتاب، ١/ ٢١.

(٦) انظر: د.شوقى ضيف، المدارس النحوية، ص١٦٠ ومابعدها.

ومما سبق، فإن البصريين كانوا يتحرون الدقة فى الرواية والسماع.

أشهر نحاة البصرة:

أبو الأسود الدؤلى ظالم بن عمرو بن سليمان (ت ٦٩هـ). ونصر بن عاصم الليثى (ت ٨٩هـ). وعبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى (ت١١٧هـ) وعيسى بن عمر الثقفى (ت ١٤٩هـ). وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) والخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٢هـ). ويونس ابن حبيب (ت ١٨٢هـ). وعمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠هـ). وأبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت ٢١١هـ)، وأبو على محمد بن المستنير قطرب (ت ٢٠٦هـ). وأبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى المبرد (ت ٢٨٥هـ) وأبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل الزجاج (ت ٣١١هـ). وأبو بكر محمد بن السرى ابن السراج (ت٣١٦هـ). وأبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان، السيرافى (ت٣٦٨هـ).

ولا ينبغى "أن يغيب عن بالنا أن أبا الأسود كان من أئمة القراء، وأن ابن أبى إسحق الحضرمى، وعيسى بن عمر كانا من القراء، وأن أبا عمرو ابن العلاء هو إمام البصرة فى القراءة وأحد القراء السبعة كذلك"[1].

عُرفت "البصرة فى تاريخ النحو بأنها المدرسة التى وضعت أصول القياس النحوى، وأنها كانت تسعى إلى أن تكون القواعد مطردة اطراداً واسعاً، ومن ثم كانت تميل إلى طرح الروايات الشاذة دون أن تتخذها إطاراً لوضع قانون نحوى، ولذلك كانت تتحرى صحة الاستقراء اللغوى، كما رفضت الاستشهاد بالحديث النبوى الشريف لما ادعى من جواز روايته بالمعنى،

---

(١) د. عبده الراجحى، دروس فى المذاهب النحوية، ص١٠.

ولدخول كثير من الأعاجم فى هذه الرواية غير أننا ينبغى أن نعلم أن عدداً غير قليل من القضايا التى استقرت عليها المدرسة البصرية غير صحيح من الناحية اللغوية، لأنها فسرته فى ضوء نظر عقلى معين، وصحيح أنه غير مجلوب، لكنه فى الوقت نفسه لا يطابق الواقع اللغوى"[١].

ومع ذلك فقد ظل التعصب شديداً للبصرة منذ القديم، بل ظل موجوداً عند عدد من الدارسين المعاصرين وبخاصة فى مواجهة النحو الكوفى[٢].

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن أوائل البصريين قد اطمأنوا إلى فصاحة جماعة من العلماء الذين ينتمون إلى أصول غير عربية، ووثقوا فى سلامة لغتهم، فقد قال أبو عمرو بن العلاء فى الحسن البصرى: "ما رأيت أفصح من الحسن البصرى، والحجاج بن يوسف الثقفى، فقيل له: فأيهما أفصح، قال: الحسن"[٣] وأوضح الجاحظ أيضاً أن من أولئك الفصحاء ذوى الأصول غير العربية أبو على الأسوارى، وهو عمرو بن فائد "الذى جلس يعظ فى مسجده نحو ست وثلاثين سنة، وقد كان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتج به" [٤].

٢- مدرسة الكوفة:

بنى مدينة الكوفة "فى السنة السابعة عشرة للهجرة سعد بن أبى وقاص بأمر من عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على أطلال مدينة بابل القديمة، حتى تكون معسكراً لجيوش المسلمين بعد فتحه لفارس. وقد قيل فى تعليل تسميتها بهذا

---

(١) السابق، ص١٠١.

(٢) الشيخ محمد الطنطاوى، نشأة النحو، ص٣٢.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/ ٧٠.

(٤) البيان والتبيين، ١/ ٣٤٧.

الاسم إن سعداً لما فتح القادسية نزل المسلمون الأنبار، فأذاهم البقّ فخرج وارتاد لهم موضع الكوفة، وقال سعد: تكوفوا، أى اجتمعوا، والتكوف معناه التجمع. وقيل أيضاً إن هذه البقعة سميت كوفة بموضعها من الأرض؛ وذلك أن كل رملة تخالطها حصباء تسمى كوفة"[١].

وقد تميزت "الكوفة بالحياة الروحية، ويعود الفضل فى ذلك إلى عبدالله ابن مسعود -ﷺ- القارئ الأول للرسول -ﷺ- حين أرسله عمر-ﷺ- إليها ليتولى أمور القضاء وبيت المال وتعليم أهلها القرآن الكريم. وقد أنشأ ابن مسعود حلقة قرآنية، وظهرت طائفة من القراء فى الكوفة، منهم ثلاثة من كبار القراء هم: عاصم بن أبى النجود (ت ١٢٧هـ)، وحمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ) وأبو الحسن على بن حمزة الكسائى (ت ١٨٩هـ).

ويعود الفضل إلى علماء الكوفة أيضاً فى وضع علم "أصول الفقه" وبيان مقاييسه وفتاواه وقضاياه، وحظيت الكوفة بمذهب فقهى هو مذهب الإمام أبى حنيفة -ﷺ-"[٢].

استطاع "نحاة الكوفة أن يكونوا لهم مدرسة فكرية لها الكثير من الآراء التى يمكن أن تشكل مذهباً مستقلاً خاصاً بها؛ لذلك لم يستطع القدماء من علماء اللغة والنحو أن يهملوا تلك المدرسة، أو يغضوا الطرف عنها"[٣].

ومن ثم، تعد مدرسة الكوفة من المدارس التى نشأت، وإن كانت نشأة متأخرة بالنسبة لجارتها البصرة؛ إلا أنها أوجدت لنفسها مذهباً نحوياً أصبح له قيمة فى درس اللغة العربية.

---

(١) د. محمود ياقوت، أصول النحو العربى، ص٣٦٣.

(٢) السابق، ص٣٦٣.

(٣) د. محمود ياقوت، النحو العربى، ص٣٨٣.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن درس العربية فى اللغة والنحو والتصريف لم يكن محط اهتمام الكوفيين فى أول الأمر، فقد كان الكوفيون منكبين على تدوين الحديث وأخبار العرب وقراءات القرآن وتفسيره[١].

لذا كانت البصرة سابقة على الكوفة فى درس العربية، إذ إن تناولها إياه كان سابقاً على الكوفيين زهاء مئة عام خلت[٢]. ولكن الكوفة سرعان ماولت وجهتها قبلة العربية وعلومها، إذ كان لتشجيع الخلفاء العباسيين لعلمائها أثر فى إيجاد روح المنافسة مع البصريين.

وتتعدد الروايات وتتباين الآراء حول بدايات ظهور المدرسة الكوفية فيكاد يتفق الأوائل على أن مدرسة الكوفة تبدأ بأبى جعفر الرؤاسى فقد جعله الزبيدى رأس المدرسة الكوفية وأستاذ أهل الكوفة فى النحو، وتابعه فى ذلك (ابن النديم) وعده أول من وضع فى النحو كتاباً من الكوفيين وأنه كان أستاذ الكسائى والفراء كما يروى ثعلب[٣] إلا صاحب الأغانى الذى ذكر أن الكسائى هو الذى رسم للكوفيين منهجاً يسيرون عليه[٤]. وإلى جانب الرؤاسى يذكر الأوائل معاذ بن مسلم الهراء فى الطبقة الأولى من النحويين الكوفيين[٥].

ومن هنا بدأ الحديث عن أهم خصائص الكوفيين، وعن طريقتهم فى وضع النحو، وبم اعتمدوا فى ذلك؛ حيث لابد من الحديث عن أمرين هامين هما

---

(١) د. مهدى المخزومى، مدرسة الكوفة، ص٣٨.

(٢) الشيخ محمد الطنطاوى، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص١٥.

(٣) الفهرست، ص٩٦، والأنبارى، نزهة الألباء، ص٥٠، وياقوت، معجم الأدباء ٦/ ٢٥٧٢.

(٤) الأصفهانى، الأغانى، ١٠٢/١١.

(٥) الزبيدى، طبقات النحويين واللغويين، ص١٢٥.

السماع والقياس، أما بالنسبة للسماع فالكوفيون لم يكن عندهم قيود للسماع كما كان عند البصريين، والتى تتعلق بالزمان، والمكان والثقة، والكثرة، منهم سمعوا ورووا عن معظم القبائل العربية بادية وحاضرة. وهم بذلك ألغوا قيود السماع البصرية، فكانوا أقرب إلى المنهج الوصفى الحديث فى استقراء اللغة الذى يقوم على أساس وصفى استقرائى لظواهر اللغة فى أى مكان، أو زمان. ويجسد ذلك أن الكسائى حين سئل عن عدم نصب (أى) وسبب بنائها حين نقول: ضربت أيهم فى الدار. فقال: لا يجوز، قال: لم؟ قال: أى هكذا خلقت- وكان ذلك بحضرة يونس فغضب لذلك[١].

ويجدر الإشارة إلى أن الكوفيين رحلوا إلى القبائل العربية البدوية فى أماكنها، وأخذوا، ورووا عنها، ويؤكد ذلك أن الكسائى رحل، وأنفد خمس عشرة قنينة حبر غير ما حفظ. كما أن الدارس لكتاب- معانى القرآن- للفراء يجد فيه عبارات الفراء واضحة جلية تجسد السماع حيث يقول: وسمعت العرب، وسمعت أعرابية، وسمعت أعرابياً وأنشدنا بعض العرب.

أما جانب القياس فالكوفيون حين توسعوا فى السماع كان حتماً عليهم التوسع فى القياس، فقد كانوا يقيسون على أقوال العرب قليلة وكثيرة، ووجدنا الكسائى يعلن ذلك فى قوله: إنما النحو قياس يتبع، وبه فى كل أمر ينتفع[٢].

ولم يقف أمر القياس هنا بل كانوا يقيسون على الشاذ والنادر، وعلى شواهد شعرية عرف قائلها أم جهل، فـ"الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه

---

(١) السيرافى، أخبار النحويين البصريين ومراتبهم، ص٥١.

(٢) القفطى، إنباه الرواه عن أنباه النحاة، ٢/ ٢٦٧.

جواز شيء مخالف للأصل جعلوه أصلاً، وبوبوا عليه"[١]. ومن ثم، فإن العلة عند الكوفيين قليلة لا تكاد تخرج عن النوع الأول من العلل وهى علل سماعية تعليمية، وكان نحوهم صافياً بعيداً عن الجدل وأساليب المتكلمين، حتى أنهم أخذوا بالقراءات جميعها. ومن أمثلة القياس عند الكوفيين إجازتهم تقديم معمول خبر (ما) النافية عليه، نحو: طعامك ما زيد آكلاً، وحجتهم فى ذلك أنهم قاسوا (ما) على (لم، ولن، ولا)؛ لأنها نافية، وهذه الأحرف يجوز تقديم معمول ما بعدها عليها نحو: زيد لم أضرب، وعمراً لن أكرم، وبشراً لا أخرج، فإذا جاز التقديم مع هذه الأحرف جاز مع (ما) [٢].

ومن "معالم الدرس النحوى عند الكوفيين الاهتمام بالقياس، فقد قاسوا على ما سمعوه ممن فسدت سلائقهم من أعراب المدن أو ما شذ على ألسنة بعض أعراب المدن، وتجاوزوا ذلك إلى استخدامهم القياس أحياناً دون استنادا إلى أى سماع، ويضرب لذلك مثلاً قياسهم العطف بـ(لكن)، فى الإيجاب على العطف بـ(بل) فى مثل: قام زيد بل عمرو؛ فقد طبقوا ذلك على (لكن) وأجازوا: قام زيد لكن عمرو، بدون أى سماع عن العرب، يجيز لهم هذا القياس" [٣].

وهناك بعض "الملامح التى تميز منهج الكوفيين فى الدرس النحوى، يأتى على رأسها الاتساع فى رواية الأشعار وألفاظ اللغة وعباراتها عن العرب أجمعين دونما تفريق بين بدوى وحضرى" [٤].

---

(١) محمد الشاطر أحمد محمد، الموجز فى نشأة النحو، ص٢٧ وما بعدها.

(٢) أبو البركات الأنبارى، الإنصاف فى مسائل الخلاف، ١/ ١٧٢. المسألة العشرون.

(٣) د. شوقى ضيف، المدارس النحوية، ص١٦٣ وما بعدها.

(٤) د. محمود ياقوت، النحو العربى، ص٣٨٣.

من أبرز نحاة الكوفة وأشهرهم مايلى:

أبو جعفر محمد بن أبى سارة الرؤاسى (ت ١٧٥هـ)، وأبو مسلم معاذ الهراء (ت ١٨٧هـ)، وأبو الحسن على بن حمزة الكسائى (ت١٨٩هـ)؛ وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، وأبو جعفر محمد بن سعدان الضرير (ت ٢٣١هـ)، وأبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (ت ٢٤٤هـ) ومحمد بن أحمد بن عبد الله الطوال (ت ٢٤٣هـ)، وأبو العباس ثعلب أحمد بن يحيى الشيبانى المعروف بثعلب (ت ٢٩١هـ)، وأبو موسى سليمان محمد الحامض (ت ٣٠٥هـ)، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى (ت ٣٢٨هـ).

ويبدأ "النحو الكوفى بدء حقيقياً بالكسائى وتلميذه الفراء، فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ووضعا أسسه وأصوله وأعداه بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصه التى يستقل بها عن النحو البصرى، مرتبين لمقدماته، ومدققين فى قواعده، ومتخذين له الأسباب التى ترفع بنيانه" (١).

وهناك روايات "كثيرة تشير إلى مكانة الكسائى المتميزة فى تاريخ الدرس النحوى، ومن ذلك قول الإمام محمد بن إدريس الشافعى -رضي الله عنه- "من أراد أن يتبحر فى النحو فهو عيال على الكسائى"، وقول ابن الأعرابى: "كان الكسائى أعلم الناس، ضابطاً عالماً بالعربية، قارئاً صادقاً" (٢).

وأصبح للكوفة مذهب مستقل فى الدراسات النحوية، والدليل على ذلك أن القدماء من أصحاب المؤلفات النحوية الضخمة كابن يعيش وابن هشام والسيوطى حرصوا على تسجيل آراء الكوفيين جنباً إلى جنب مع آراء

---

(١) د. شوقى ضيف، المدارس النحوية، ص١٥٤.

(٢) انظر: د. محمود ياقوت، أصول النحو العربى، ص٣٨١.

البصريين، بل إن بعض الأوائل كالمبرد وابن السراج ذكروا آراءهم أيضاً. وحين ألف أبو البركات الأنبارى كتابه (الإنصاف فى مسائل الخلاف) كان هذا الخلاف بين علماء المدرستين.

وهكذا "غدا نحو الكوفة منطبعاً بصورة الخلاف مع البصريين تكثر فيه المصطلحات الخاصة، ويمتزج بمخالفة الآخرين فى تحليل بعض الكلمات والأدوات والعوامل والمعمولات. مع مد القياس وبسطه ليشمل كثيراً من اللغات بما فى ذلك الشاذ منها، ومخالفة القياس حتى فى القراءات"[1].

(١) د. وليد حسين، نظرية النحو العربى، ص٤٥٨.

الفصل الأول

أسباب الخلاف فى المصطلح النحوى

بين البصريين والكوفيين

لقد كان الخلاف فى المصطلح النحوى كبيراً بين نحاة البصرة والكوفة حتى شاع بين الدارسين المتأخرين أن هذا المصطلح بصرى وذاك مصطلح كوفى، ولقد أفاد المصطلح النحوى من خصومة الفريقين فائدة كبيرة إذ نظر كل فريق إلى مصطلحات كتاب سيبويه نظرة الناقد، ثم شرع فى تهذيبها وتطويرها، حتى وصلوا بها جميعاً إلى الاستقرار الذى لم يكن من اليسير على سيبويه أن يصل بالمصطلحات النحوية إليه، فالاستقرار مرحلة تالية لمرحلة شهدت مدارسات وخصومات شديدة، ومناظرات فى هذا العلم لم تهدأ حتى استقر النحو، ورست حدوده ومصطلحاته بالشكل الذى وصل إلينا.

ومن ثم، فإن النحاة الذين جاءوا بعد سيبويه ظلوا عالة على كتابه، يترسمون خطاه ويهتدون فى النحو بهداه[١]، وجدت ظروف أدت بهم إلى إعادة النظر فى الكتاب مادة وأسلوباً[٢] فشرعوا يذللون صعبه بالشروح، ويخرجون شواهده ويختصرونه[٣] ورأوا مع كثرة المدارسة أنه يمكن اختصار عنواناته الطويلة فى صورة محددة يستقر عليها المصطلح الذى حام سيبويه حوله وأوشك أن يقع عليه، ورأوا كذلك الاستقرار على واحد من مصطلحاته الكثيرة التى كان يطلقها على المسألة الواحدة، فيكتفون بهذا المصطلح عما عداه.

---

(١) انظر: مقدمة المقتضب، ١/ ١١٩.

(٢) انظر: البغدادى، خزانة الأدب، ١/ ١٧٩.

(٣) انظر: الزبيدى، طبقات النحويين واللغويين، ص٧٤ ومابعدها .

وفيما هم آخذون بخدمة هذا الكتاب، أخذت تشتد بينهم الخلافات فى مسائله، فمنهم من تابعه. وأخلص له ومنهم من خالفه فى جانب وتبعه فى آخر، ولم يكن هناك نحوى واحد خالفه مخالفة تامة فى مسائله جميعها حتى إن الكسائى وهو إمام مدرسة الكوفة، والذى وصف بأنه اجتمعت له أمور لم تجتمع لغيره فكان واحد الناس فى القرآن، وكان أعلم الناس بالنحو وواحدهم فى الغريب[١] والذى كان يقف منه موقف الند يناظره ويخالفه الرأى[٢] لم يستغن عن دراسة كتاب سيبويه[٣]، وتأثر به حتى فى المصطلحات، فكما كان يسمى الهمزة ألفاً فعل الكسائى كذلك[٤] وكذلك كان الشأن مع الفراء وهو رأس الكوفيين بعد الكسائى[٥]. رغم عصبيته الزائدة على سيبويه فقد سمى العطف بالحرف عطف النسق[٦] تماماً كما فعل سيبويه.

ولا غرابة فى أن يكون كتاب سيبويه دستور النحاة من بصريين وكوفيين، ومائدهم الكبرى فى صناعة النحو العربى، فسيبويه تلقى أكثر نظرياته عن الخليل بن أحمد أستاذ البصريين والكوفيين على السواء. قال عنه ابن العماد الحنبلى: "إن الإجماع منعقد على أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل" [٧].

وإذا كان الخلاف بين البصريين والكوفيين هو الشائع بين النحاة بصفة عامة، فإن الكوفة لن تنسى تلمذة الكسائى على الخليل ويونس، ولا تلمذة

---

(١) انظر: أبا بكر البغدادى، تاريخ بغداد، ١١/ ٤٠٩، وابن الجزرى، غاية النهاية، ١/ ٥٣٨.

(٢) الزبيدى، طبقات النحويين واللغويين، ص٧٠، أبو البركات الأنبارى، نزهة الألباء، ص٦٥، القفطى، إنباه الرواة، ٣/ ٣٥٨.

(٣) انظر: الأنبارى، نزهة الألباء، ص١٣٤.

(٤) الكتاب، ١/ ١٢٨، ١٣١ – ٢/١٠٥.

(٥) الزبيدى، طبقات النحويين واللغويين، ص٧١.

(٦) انظر: معانى القرآن، ١/٤٤، ٧٠– ٢/ ٧٠.

(٧) شذرات الذهب، ١/ ٣٧٧.

الفراء على يونس[١] وأن الخليل كان السبب فى توجيه الكسائى للرحلة إلى البادية ليتعلم الفصاحة واللغة فما رجع إلا وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبر فى الكتابة عن العرب سوى ما حفظ[٢].

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن "علماء الكوفة قد اهتموا بالتغيير فى المصطلحات النحوية التى استعملها سيبويه فى كتابه؛ لأنهم اعتقدوا أن هذا التغيير من الأشياء التى تساعد فى أن تكون لهم مدرسة مستقلة"[٣].

وهناك "بعض الملامح التى تميز منهج الكوفيين فى الدرس النحوى، يأتى على رأسها الاتساع فى رواية الأشعار وألفاظ اللغة وعباراتها عن العرب أجمعين دونما تفريق بين بدوى وحضرى، وقد عاب عليهم ذلك البصريون، حتى إن بعضهم قال يفخر على الكوفيين: "نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشوارين وباعة الكواميخ".

وقد عبر بعض القدماء عن اتساع الكوفيين فى رواية الأشعار والقياس عليها فى الدرس النحوى قائلين: "لو سمع الكوفيون بيتاً واحداً فيه جواز شىء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه".

وقالوا أيضاً: "عادة الكوفيين إذا سمعوا لفظاً فى شعر أو نادر كلام جعلوه باباً أو فصلاً"[٤]. ولكن ليس معنى ذلك أن أولئك لم يرحلوا إلى البادية لمشافهة الفصحاء من الأعراب؛ فقد رحل الكسائى إمام نحاة الكوفة إلى بوادى نجد وتهامة والحجاز ورجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبر فى الكتابة عن العرب سوى ما حفظ[٥].

---

(١) الزبيدى، طبقات النحويين واللغويين، ص٣٤، السيوطى، بغية الوعاة، ص٤٢٦.

(٢) القفطى، إنباه الرواة، ٢٥٨/٢.

(٣) د. محمود ياقوت، أصول النحو العربى، ص٣٦٥.

(٤) السيوطى، المزهر، ٢١١/١ وما بعدها.

(٥) القفطى، إنباه الرواة، ٢/ ٢٥٨.

وتعود أسباب الخلاف النحوى بين البصريين والكوفيين إلى أسباب عديدة من أهمها:

أولاً: الأسلوب والطريقة التى تتبعها المدرسة فى السماع والقياس والتعليل، فمثلاً تحديد السماع والقياس عند البصريين يختلف عن الكوفيين. فالكوفيون توسعوا فى السماع عن القبائل العربية، وتوسعوا فى القياس حتى على القليل الشاذ والنادر "فالكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصل جعلوه أصلاً، وبوبوا عليه"[١] وقد توسع ذلك حتى شمل القراءات القرآنية، فالبصريون كان لهم موقف من بعض القراءات التى خالفت القاعدة النحوية عندهم، ثم شاع ذلك على بقية المدارس النحوية. وربما يعود ذلك إلى أن البصرة بحكم موقعها الجغرافى على الخليج العربى جعل عملية الاختلاط بغير العرب عملية سهلة نتيجة الملاحة البحرية؛ وهذا بدوره جعل البصريين يتحرون الدقة فى السماع اللغوى عن العرب فضلاً عن القياس على الكثرة المطردة. قال سعيد الأفغانى "ولموقع البصرة على سيف البادية ووجود سوق المربد فيها أثره فى فصاحة أهل البصرة وسلامة لغتهم"[٢].

أما الكوفة فكانت بحكم موقعها الجغرافى- وسط العراق- قليلة الاختلاط بغير العرب مما جعل الكوفيين يطمئنون إلى سلامة اللغة، فضلاً عن انشغال الكوفيين بالفقه جعلهم يطبقون ذلك على النحو، فدعاهم إلى التوسع فى السماع والقياس.

ومن ثم، يعود الفضل إلى علماء الكوفة فى وضع "علم أصول الفقه" وبيان

---

(١) محمد الشاطر أحمد محمد، الموجز فى نشأة النحو، ص٢٧ وما بعدها.

(٢) من تاريخ النحو، ص٦٤ وما بعدها.

مقاييسه وفتاواه وقضاياه، وحظيت الكوفة بمذهب فقهى هو مذهب الإمام أبى حنيفة-رضي الله عنه- [١].

ثانياً: التنافس العلمى وإثبات الذات، وهذا أمر غرزى فى جبلة النـــاس كل يجب أن يجد لنفسه المكانة، والقدمة، سواء أكان على مستوى المدرســـة الواحدة أم على مستوى المدارس، والذى أذكى شعلته بين المدرستين الخلفـــاء العباسيون الذين لعبوا دوراً مهماً فى تفضيل النحاة بعضـــهم علـــى بعـــض، وتقريبهم منهم، فضلاً عن إجراء المناظرات بينهم مما جعل الخـــلاف يـــدب بينهم، فالعباسيون كانوا يميلون إلى الكوفيين، ويحـــاولون الانتصـــار لهـــم فى المناظرات التى كانت تقام مع نحاة البصرة، وقد دونت المؤلفات الكثير مـــن هذه المناظرات[٢] مثل ما دار بـــين الكســـائى وســـيبويه، وبـــين الكســـائى والأصمعى، وبين المازنى وابن السكيت، وبين المبرد وثعلب، ومن نحاة بغـــداد بين الزجاجى وابن كيسان "ولكن الكوفة سرعان ما ولت وجهتها قبلة العربية وعلومها، إذ كان لتشجيع الخلفاء العباسيين لهم أثر فى إيجاد روح المنافسة مع البصريين"[٣].

وهكذا "غدا نحو الكوفة منطبعاً بصورة الخلاف مع البصريين تكثر فيـــه المصطلحات الخاصة، ويمتزج بمخالفة الآخرين فى تحليـــل بعـــض الكلمـــات والأدوات والعوامل والمعمولات ومع مد القياس وبسطه ليشمل كـــثيراً مـــن اللغات بما فى ذلك الشاذ منها، ومخالفة القياس حتى فى القراءات" [٤].

---

(١) د. محمود ياقوت، أصول النحو العربى، ص٣٦٣.

(٢) انظر: د. محمد أحمد العمروسى، أثر الأحكام النحوية فى الفروع الفقهية، ص٧٣-١٠٦.

(٣) د. وليد حسين، نظرية النحو العربى، ص٤٥٢ وما بعدها.

(٤) السابق، ص٤٥٨.

وقد أفرد السيوطى لذلك باباً فى كتابه (الأشباه والنظائر) أطلق عليه "فن المناظرات والمجالسات والمذاكرات"[١]، كما ألف الزجاجى كتاباً أطلق عليه "مجالس العلماء" تحدث فيه عن مجالس العلم والمناظرات بين النحاة.

ثالثاً: الثقافة وطريقة التفكير، وتفصيل ذلك أن حركة الترجمة عن اليونانيين والفرس نشطت مبكرة عند البصريين، ويدلل على ذلك ما قام به (ماسر جويه) وابن المقفع من ترجمات، فضلاً عن أن فكرة الاعتزال التى ترتبط بالعقل والمنطق، وانعكاس ذلك على الدراسات كان له دوره عند البصريين، ويقابل ذلك الفكر الشيعى عند الكوفيين، والحقيقة أن هذه التراكمات ظلت ترافق جميع النشاطات الأخرى[٢].

رابعاً: إن من الأسباب -أيضاً- العصبية الإقليمية فكل يريد القدمة لبلده، ومن الجدير بالذكر: إن الخلاف بين البصرة والكوفة يعود إلى الأحداث الأخيرة من زمن الخلافة الراشدة، حيث بعد مقتل (عثمان بن عفان) -ﷺ- وتولى على - كرم الله وجهه- الخلافة حدث ما حدث بين المسلمين نتيجة القلة المنافقة التى أشعلت نار الفتنة، وكان نتيجة ذلك أن حدث الخلاف بين البصرة والكوفة، فقد عرفت البصرة بأنها عثمانية الولاء، ويدلل على ذلك أن عائشة رضى الله عنها، والزبير وطلحة رضى الله عنهما حين خرجوا من مكة توجهوا إلى البصرة للمطالبة بدم عثمان، بينما توجه على -ﷺ- إلى الكوفة، وبعد ذلك كانت وقعة الجمل حيث تمت المواجهة بين على والكوفيين، وعائشة والبصريين، فظاهر المواجهة بين البصرة الكوفة[٣].

---

(١) انظر: الأشباه والنظائر فى النحو، ٦٦/٣ وما بعدها .

(٢) د. أحمد كمال زكى، الحياة الأدبية فى البصرة إلى نهاية القرن الثانى الهجرى، ص١٠٦.

(٣) د. عون الشريف قاسم، شعر البصرة فى العصر الأموى - دراسة فى السياسة والاجتماع، ص١٣- ٢٠.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن المسائل الخلافية كانت تسير فى اتجاهين.

"- **الأول**: أن يخالف أحد النحاة ما درج عليه جمهور نحاة المدرسة ويذهب رأيه نحو مذهب آخر أو ينفذ إلى رأى خاص به.

- **والثانى**: أن يخالف أحد نحاة المدرسة رأياً لنحوى آخر فى هذه المدرسة وقد يكون الذى خالفه أستاذه الذى أخذ منه، أو أحد شيوخ المدرسة المتقدمين ممن لم يتتلمذ على يديه" [١].

المخالفات فى المصطلح النحوى:

إن الحديث عن بواكير المصطلح النحوى يرتبط نوعاً ما بالحديث عن بدايات تأسيس علم النحو، والروايات التى قدمت فى ذلك على أن ما كان من مصطلحات نحوية فى البدايات لا تشكل فى حد ذاتها إلا إرهاصات أولية على جادة الطريق فى علم النحو، فمثلاً إشارات الروايات إلى أن أبا الأسود قد قدم بما يعرف بمصطلح "النقط" وهو ما يدل على حركات الإعراب، ومصطلح (الغنة) الذى يدل على التنوين، وغير ذلك إنما يشكل جانباً وصفياً لما تمثله دلالة هذه المصطلحات. فمثلاً يمثل موقف يحيى بن يعمر مع الحجاج حين قال له الحجاج: "أتسمعنى ألحن على المنبر؟ فقال للحجاج: أما إذا سألتنى أيها الأمير فإنك ترفع ما يوضع، وتضع ما يرفع"[٢] إشارة يحيى بن يعمر إلى حركات الإعراب "الرفع والوضع الذى عنى به النصب".

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن ما سبق يشكل أمثلة يتم من خلالها الحديث عن فترة الرعيل الأول من النحاة، وما برز لديهم من مصطلحات نحوية تتعلق

---

(١) د. وليد حسين، نظرية النحو العربى، ص٤٧٤.

(٢) القفطى، إنباه الرواة، ٢/ ٢٠.

بالأبواب النحوية، فالحقيقة أن هذه الفترة بقيت غامضة، ولم تخرج حقائقها إلى النور، ويكاد يكون السبب الرئيس فى ذلك أنه لم تصل مؤلفات تمثل هذه الفترة، وأن ما وصل كان عبارة عن روايات تناولت بشكل مبسط بدايات تأسيس النحو، والاختلاف فيما بينهم.

إن البداية الحقيقية للمصطلح النحوى بصورته الناضجة كانت عند الخليل وسيبويه من خلال أول المؤلفات النحوية وهو (الكتاب) لسيبويه، أما ذكر الخليل هنا فذلك يرتبط بكون أن كتاب سيبويه يمثل خلاصة علم الخليل، ثم توافرت جهود النحاة من بعده حتى وصل المصطلح النحوى إلى ما هو عليه. على أن من الواجب ذكره أن جل هذه المصطلحات هى نفسها التى قدمها سيبويه ونحاة البصرة من بعده.

أما علماء الكوفة فقد اهتموا بالتغيير فى المصطلحات النحوية التى استعملها سيبويه فى كتابه؛ لأنهم اعتقدوا أن هذا التغيير من الأشياء التى تساعد فى أن تكون لهم مدرسة مستقلة فى النحو.

الفصل الثانى

أنماط الخلاف فى المصطلح النحوى بين المدرستين

تنقسم أنماط الخلاف بين نحاة البصرة والكوفة إلى ثلاثة أنماط رئيسة، هى:

١) مصطلحات كوفية فى مقابل مصطلحات بصرية:

١- القطع:

أطلق (الفراء) على مصطلح (الحال) مصطلح (القطع)، وذلك حين توقف أمام إعراب كلمة (هدى) فى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١]. قال الفراء: "فأما النصب فى أحد الوجهين فأن تجعل (الكتاب) خبراً لـ (ذلك) فتنصب (هدى) على القطع؛ لأن (هدى) نكرة اتصلت بمعرفة قد تم خبرها فنصبتها؛ لأن النكرة لا تكون دليلاً على معرفة. وإن شئت نصبت (هدى) على القطع من الهاء التى فى (فيه) كأنك قلت: لا شك فيه هادياً"[٢].

أى إن (هدى) حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة منع من ظهورها التعذر، وصاحب الحال الضمير فى (فيه) وهذا الحال يؤول بالمشتق "هادياً" وقد استعمل (الفراء) مصطلح (الحال) أيضاً على الرغم من محاولته إطلاق (القطع) عليه. والمبرد يسمى الحال مفعولاً فيه، إذ يقول: "هذا باب من المفعول فيه، ولكنا عزلناه مما قلبه؛ لأنه مفعول فيه، وهو الذى يسميه النحويون (الحال)" [٣].

---

(١) سورة البقرة/ ٢.

(٢) معانى القرآن، ١٢/١.

(٣) المقتضب، ١٦٦/٤.

٢- الصفة:

أطلق (الفراء) على (حروف الجر) مصطلح (الصفة)؛ ففى تعليقه على قوله تعالى: ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ (١). قال: "يريد: فعلا جناح عليهما أن يتراجعا، (أن) فى موضع نصب إذا نُزعت الصفة" (٢). قال ابن يعيش: "اعلم أن هذه الحروف تسمى حروف الإضافة لأنها تضيف معانى الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها، وتسمى حروف الجر؛ لأنها تجر ما بعدها من الأسماء أى تخفضها، وقد يسميها الكوفيون حروف الصفات؛ لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات" (٣). على أن الكسائى كان يطلق مصطلح الصفة على ما يسمى ظرفاً(٤). ونقله (الفراء) إلى حروف الجر فقال: "وكان الكسائى لا يجيز إضمار الصفة فى الصلات، ويقول: لو أجزت إضمار الصفة هاهنا لأجزت: أنت الذى تكلمت، وأنا أريد الذى تكلمت فيه" (٥).

وقال الفراء فى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ (٦). "فإنه قد يعود على اليوم والليلة ذكرهما مرة بالهاء وحدها ومرة بالصفة، فيجوز ذلك كقولك، ولا تجزى نفس عن نفس شيئاً وتضمر الصفة ثم تظهرها فتقول: "لا تجزى فيه نفس عن نفس شيئاً" (٧).

---

(١) سورة البقرة/٢٢٩.

(٢) معانى القرآن، ١٤٨/١.

(٣) شرح المفصل، ٧/٨.

(٤) المفضل بن سلمة، مختصر المذكر والمؤنث، ص٦٧.

(٥) معانى القرآن، ٣٢/١.

(٦) سورة البقرة/ ٤٨.

(٧) معانى القرآن، ٣١/١ وما بعدها.

٣- الضمير المجهول:

اصطلاح كوفي يطلقونه على الضمير العائد إلى غير مذكور تقدم، والضمير إنما يكون معلوماً إذا تقدمه مذكور. ويسميه البصريون ضمير الشأن، والقصة، والحديث، والأمر[١]. والجملة بعده تكون خبراً عنه وتفسيراً له قال ابن يعيش: "اعلم أنهم إذا أرادوا ذكر جملة من الجمل الاسمية أو الفعلية فقد يقدمون قبلها ضميراً يكون كناية عن تلك الجملة وتكون الجملة خبراً عن ذلك الضمير وتفسيراً له ويوحدون الضمير؛ لأنهم يريدون الأمر والحديث لأن كل جملة شأن وحديث"[٢].

وقد أوضح علماء الكوفة بعض القوانين المتصلة بالمجهول في الجملة العربية، يدلنا على ذلك تعليق (ثعلب) على قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبصَارُ﴾[٣]: "إذا جاء بعد المجهول مؤنث ذكر وأنث، إنه قام هند وإنه قامت هند؛ لأن الفعل يؤنث ويذكر"[٤].

وما دمنا بصدد الحديث عن (ضمير الشأن) نحاول التعرف على بعض المصطلحات المتصلة بالضمائر على وجه العموم عند الكوفيين.

أطلق (الفراء) على ما يسمى عند البصريين بـ(ضمير الفصل) اسم "العماد"؛ لأنه يُعتمد عليه في الفائدة؛ إذ يُتبين به أن الثاني خبر لا تابع؛ فقد توقف أمام قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾[٥].

---

(١) انظر: سيبويه، الكتاب، ٦٩/١- ٧١، ١٣٤/٢ وما بعدها.

(٢) شرح المفصل، ١١٤/٣.

(٣) سورة الحج/٤٦.

(٤) مجالس ثعلب، ١٠٢/١.

(٥) سورة الأنفال/٣٢.

قائلاً: "فى (الحق) النصب والرفع، إن جعلت (هو) اسماً رفعت (الحق) بـ (هو)، وإن جعلتها عماداً بمنزلة الصلة نصبت (الحق). وكذلك فافعل فى أخوات كان، وأظن وأخواتها. كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾[1]. تنصب (الحق)؛ لأن رأيت من أخوات ظننت"[2].

بقى أن نشير إلى أن الكوفيين يطلقون على الضمير مصطلح "المكنى"؛ فقد علّق (الفراء) على الآية الكريمة: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ﴾[3]. بقوله: "العرب إذا جاءت إلى اسم مكنى قد وصف بهذا وهذان وهؤلاء فرقوا بين "ها" وبين "ذا" وجعلوا المكنى بينهما، وذلك فى جهة التقريب، لا فى غيرها، فيقولون: أين أنت؟ فيقول القائل: هأنذا، ولا يكادون يقولون: هذا أنا"[4].

٤- الأدوات:

أطلق (الفراء) على ما يسمى عند البصريين بـ(حروف المعانى)[5]. اسم (الأدوات). أما ما جاء من هذه الأدوات لمعنى آخر فإنه يخصصه بمصطلح خاص فعند التفريق بين (نعم، وبلى) فى مثل قوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾[6]. قال: "بلى لا تصلح فى هذا الموضع" وفى مثل قوله

---

(١) سورة سبأ/٦.

(٢) معانى القرآن، ٤٠٩/١.

(٣) سورة آل عمران/١١٩.

(٤) معانى القرآن، ٢٣١/١ وما بعدها.

(٥) معانى القرآن، ٥٨/١.

(٦) سورة الأعراف/ ٤٤.

تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ [١]. قال: "ولا تصلح ها هنا "نعم" أداة" وكان قد قرر السبب بقوله: "وضعت "بلى" لكل إقرار فى أوله جحد ووضعت نعم للاستفهام الذى لا جحد فيه، فـ "بلى" بمنزلة "نعم" إلا أنها لا تكون إلا لما فى أوله جحد" [٢].

٥- الاسم الموضوع:

يطلقه الفراء على الأسماء المحضة كعمرو ومحمد فقال: "وإذا جئت إلى الأسماء الموضوعة مثل: عمرو ومحمد" [٣].

٦- الأسماء المضافة:

مصطلح عند الفراء يطلقه على ما يسمى بالأسماء الستة مثل أبيك وأخيك فقال: "أو المضافة مثل أبيك وأخيك رفعتها، فقلت: أظن زيداً هو أخوك وأظن أخاك هو زيد، فرفعت..." [٤].

٧- الاسم المبهم:

ويعنى عند الفراء ما ليس بمعلوم من الأسماء، يقول: "وكل ما كان من الأسماء مبهماً مثل قولهم: ما عندى أحد، وديار، وكراب، وعريب، ... فإن هذا يجرى مؤنثه على التذكير"[٥] فى حين يطلق سيبويه مصطلح (الأسماء المبهمة) على أسماء الإشارة ونحو ذلك قال سيبويه: "وأما الأسماء المبهمة فنحو هذا (وهذه)، وهذان وهاتان، وهؤلاء، ..." [٦].

---

(١) سورة الملك/٨- ٩.

(٢) معانى القرآن، ١/٥٢.

(٣) السابق، ١/٤٠٩.

(٤) نفسه، ١/٤٠٩.

(٥) المذكر والمؤنث، ص٧٠.

(٦) الكتاب، ٢/٥.

٨- **شبه المفعول**:

أطلقه الكوفيون على ما يسمى: "بالمفعول المطلق والمفعول فيه، والمفعول لأجله والمفعول معه" وليس عندهم مفعول إلا المفعول به قال السيوطي: "وأما الكوفيون: فزعموا أن الفعل إنما له مفعول واحد، وهو المفعول به وباقيها عندهم ليس شيء منها مفعولاً، وإنما مشبه بالمفعول" (١).

٩- **التشديد**:

أطلقه (الفراء) على ما يسميه (سيبويه) توكيداً وتكريراً، فقال في قول الشاعر:

كم نعمة كانت لها كم كم كم

"إنما هذا تكرير حرف، ولو وقعت على الأول أجزأك من الثاني، وهو كقولك للرجل: نعم نعم، تكررها، أو قولك: اعجل اعجل تشديداً للمعنى"(٢). وعندما أعرب قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (٣). قال: "فإن شئت رفعت السابقين بالسابقين الثانية... فإذا رفعت أحدهما بالآخر كقولك: الأول السابق، وإن شئت جعلت الثانية تشديداً للأولى ورفعت بقوله: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾(٤). (٥).

---

(١) انظر: همع الهوامع، ٦/٢.

(٢) معاني القرآن، ١٧٧/١.

(٣) سورة الواقعة/ ١٠.

(٤) الواقعة/١١.

(٥) انظر: معاني القرآن، ١٢٢/٣.

١٠- المرافع:

أطلقه الفراء على معنى الخبر، والمبتدأ المحذوف سماه ضميراً واسماً مضمراً. قال ثعلب: "قوله عز وجل: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [١]. قال: فيومئذ مرافع فذلك" [٢].

١١- المحل:

أطلق الفراء هذا المصطلح على ما يسميه البصريون ظرفاً أو مفعولاً فيه[٣]. ويسميه الكسائى صفة [٤]، كما نسب إلى الكوفيين عامة تسمية الظروف غايات[٥]. ونسب الأزهرى إلى الخليل اصطلاح الظرف، وإلى الكسائى المحل، وإلى الفراء صفة، وعقب على ذلك بقوله: "المعنى واحد"[٦].

١٢- التفسير:

أطلق الفراء على التمييز مصطلح (التفسير)، يدلنا على ذلك تعليقه على الآية الكريمة: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ [٧]. قائلاً: "نصبت الذهب لأنه مفسر لا يأتى مثله إلا نكرة، فخرج نصبه كنصب قولك: عندى عشرون درهماً، ولك خيرهما كبشاً. ومثله قوله ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾[٨]،

---

(١) سورة المدثر / ٩.
(٢) مجالس ثعلب، ١/٢٠.
(٣) انظر: المفضل بن سلمة، مختصر المذكر والمؤنث، ص٦٥.
(٤) الفراء، المذكر والمؤنث، ص١٠٩.
(٥) انظر: الرضى، شرح الكافية، ٢/٩٦.
(٦) تهذيب اللغة، ١٤/٣٧٣.
(٧) سورة آل عمران/ ٩١.
(٨) سورة المائدة/ ٩٥.

وإنما ينصب على خروجه من المقدار الذى تراه قد ذكر قبله، مثل (ملء الأرض) أو (عدل ذلك)؛ فالعدل مقدار معروف، وملء الأرض مقدار معروف، فانصب ما أتاك على هذا المثال ما أضيف إلى شيء له قدر، كقولك: عندى قدرُ قفيز دقيقاً[١]، وقدر حَمْلة تبناً، وقدر رطلين عسلاً، فهذه مقادير معروفة يخرج الذى بعدها مفسراً؛ لأنك ترى التفسير خارجاً من الوصف يدل على جنس المقدار من أى شيء هو، كما أنك إذا قلت: عندى عشرون فقد أخبرت عن عدد مجهول قد تم خبره، وجُهل جنسُه وبقى تفسيره، فصار هذا مفسراً عنه؛ فلذلك نُصب"[٢].

والذى يلفت النظر أن الفراء أطلق مصطلح (التفسير) على المفعول لأجله أيضاً، وذلك حين تعليقه على نصب (حذر) فى قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾(٣) . بقوله: "فنصب "حذر" على غير وقوع من الفعل عليه، لم ترد يجعلونها حذراً، إنما هو كقولك: أعطيتك خوفاً وفرقاً. فأنت لا تعطيه الخوف، وإنما تعطيه من أجل الخوف، فنصبه على التفسير ليس بالفعل كقوله جل وعز: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[٤]. وكقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [٥]. والمعرفة والنكرة تفسران فى هذا الموضع، وليس نصبه على طرح من" [٦].

---

(١) القفيز: مكيال للحبوب.

(٢) معانى القرآن، ٢٢٥/١ وما بعدها.

(٣) سورة البقرة/ ١٩.

(٤) سورة الأنبياء/ ٩.

(٥) سورة الأعراف/ ٥٥.

(٦) معانى القرآن، ١٧/١.

وأطلق مصطلح التفسير على (البدل)، فقد توقف أمام إعراب كلمة (الجن) فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [١]. قائلاً: "إن شئت جعلت (الجن) تفسيراً للشركاء" [٢].

١٣- الفعل الواقع:

أطلقه (الفراء) على ما يسميه أهل البصرة بالفعل المتعدى، ففى قراءة (ابن مسعود): ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيا﴾ [٣]. بالنصب يقول: "ونصبه على جهتين: إن شئت على معنى تركهم صماً بكماً عمياً، وإن شئت اكتفيت بأن توقع الترك عليهم فى الظلمات، ثم تستأنف "صماً" بالذم لهم" [٤].

كما يسمى الفعل اللازم فعلاً ليس بواقع[٥] مستفيداً ذلك من أقوال سيبويه[٦].

١٤- الألف الخفيفة:

ويقصد بها الفراء ما يسمى ألف الوصل أو همزته عند البصريين ففى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾[٧].

---

(١) سورة الأنعام/ ١٠٠.

(٢) معانى القرآن، ٣٤٨/١.

(٣) سورة البقرة/١٤.

(٤) معانى القرآن، ١٦/١، وانظر: ١٧/١، ٢١، ٤٠.

(٥) السابق، ١٢١/١، ١٦٨.

(٦) الكتاب، ١١٧/٣.

(٧) سورة الحديد/١٣.

قال: "خفيفة الألف على معنى الانتظار"[١]، وكان يطلق على همزة الاستفهام اصطلاح الألف[٢].

١٥- الموقت وغير الموقت:

اصطلاحان عند الفراء، الأول منهما بمعنى العلم والضمير، والثانى ينطبق على النكرة، أما إذا كان الاسم معرفاً مشتقاً، أو موصولاً فهو عنده معرفة غير موقتة. يقول الفراء: "وبئس لا يليها مرفوع موقت، ولا منصوب موقت... وإذا أوليتها معرفة فلتكن غير موقتة فى سبيل النكرة" [٣].

ويقول أيضاً: "ولا يجوز أن تقول: مررت بعبدالله غير الظريف إلا على التكرير، لأن عبدالله موقت، و(غير) فى مذهبه نكرة غير موقتة، ولا تكون نعتاً إلا لمعرفة غير موقتة" [٤].

ونلاحظ أن سيبويه يطلق على العلم اصطلاح الاسم الخاص[٥]. كما كان يسميه العلامة اللازمة المختصة[٦]. ووافقه أحياناً فى هذا المبرد[٧] وهو يعلم حقيقة اصطلاح (العلم) وقد بنى عليه الحديث فقال: "والكنى التى هى أعلام بمنزلة الأسماء" [٨].

---

(١) معانى القرآن، ٧٠/١، وانظر: ١٢٤/١ وما بعدها.
(٢) السابق، ٧١/١، ٩٨.
(٣) نفسه، ٥٦/١ وما بعدها.
(٤) نفسه، ٧/١، ٢٤٣، ٢٤٤.
(٥) الكتاب، ٦/٢، ٩٣- ٩٦.
(٦) السابق، ١٠١/٢.
(٧) المقتضب، ٣٢٣/٤.
(٨) السابق، ٣١١/٢.

١٦ - النعت:

من مصطلحات الكتاب، وكان سيبويه يطلقه على عطف البيان[١]. كما جعل الصفة والوصف من مرادفاته، وبنى كلامه على ذلك فى مواضع كثيرة[٢]. وكان يطلق على التوكيد مصطلح الصفة(٣). فالبصريون إذن يطلقون مصطلح النعت ويعنون به الصفة تارة، والموصوف أخرى، ومرة ثالثة يطلقون التوكيد بمعنى الصفة[٤].

والمبرد يسمى التوكيد نعتاً كما كان يسميه صفة(٥). وسيبويه يسميه صفة[٦]. وعندئذ تكون هذه المصطلحات الثلاثة مترادفة[٧]. واكتفى الكوفيون بالنعت ليدلوا به على الصفة. يقول السيوطى: "والتعبير به (أى النعت) اصطلاح الكوفيين، وربما قاله البصريون، والأكثر عندهم الوصف والصفة"[٨].

١٧- عطف النسق:

ويقابله: الشركة وعبر عنه ابن السراج بـ"العطف بحرف"، ونسبة هذا المصطلح إلى الكوفة ليس إلا من قبيل كثرة استعمال علمائها له فعملوا على ترسيخه بدلاً من العطف، وهذا لا يجعلنا ننفى استخدامهم لاصطلاح العطف

---

(١) الكتاب، ٢/١٨٤- ١٨٦.
(٢) السابق، ٢/١٩٠- ١٩٣.
(٣) نفسه، ٢/٣٥١، ٣٥٩، ٣٨٥، ٣٩١.
(٤) نفسه، ٢/١٢١، ٣٨٥، ٣٩١.
(٥) المقتضب، ٤/١٠٥.
(٦) الكتاب، ١/٤٢٥.
(٧) خالد الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح، ٢/١٠٧.
(٨) همع الهوامع، ٣/١٤٥.

فالفراء عندما وجه القراءة فى قوله عز وجل: ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا﴾ [١]. يقول: "إن شئت جعلت (فتكونا) جواباً نصبت، وإن شئت عطفته على أول الكلام فكان جزماً"[٢].

والعطف شركة عند سيبويه[٣]. وهما معاً النسق عند الخليل، والنسق والرد عند الكوفيين، أما الحمل على كذا، والإجراء على كذا- بمعنى العطف فليس استخدامهما أكثر من وصف للمصطلح.

١٨- لا التبرئة:

مصطلح كوفى على ما استقر عند البصريين بـ(لا النافية للجنس). وهو مصطلح أطلقه الفراء. يقول: ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ﴾ [٤]. القراء على نصب ذلك كله بالتبرئة إلا مجاهداً... ومن رفع بعضاً ونصب بعضاً، فلأن التبرئة فيها وجهان: الرفع بالنون، والنصب بحذف النون" [٥]، أما (المبرد) فقد سماها (لا) التى للنفى. قال: "إذا قلت (لا رجل فى الدار) لم تقصد إلى رجل بعينه، وإنما نفيت عن الدار صغير هذا الجنس وكبيره، فهذا جواب قولك: هل من رجل فى الدار؟ لأنه يسأل عن قليل هذا الجنس وكثيرة" [٦].

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن مصطلح الكوفيين سار جنباً إلى جنب مع مصطلح البصريين[٧]. وقد تبع اختلافهم فى الاصطلاح اختلافهم فى إعراب

---

(١) سورة البقرة/ ٣٥.

(٢) معانى القرآن، ١/٢٦.

(٣) الخوارزمى، مفاتيح العلوم، ص٣٦.

(٤) سورة البقرة/ ١٩٧.

(٥) معانى القرآن، ١/١٢٠ وما بعدها. والنون هنا بمعنى التنوين.

(٦) المقتضب، ٤/٣٥٧.

(٧) أبوبكر الأنبارى، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٢٨٨.

معمول لا، فعند البصريين يكون المنفى بهذه اللام مبنياً على الفتح إن كان مفرداً، ويرى الكوفيون أنه معرب منصوب بها[١].

١٩- **الجحد والإقرار**:

مصطلحان وضعهما الفراء فى مقابل النفى والإثبات عند البصريين، قال الفراء: "وضعت (بلى) لكل اقرار فى أوله جَحْد" [٢]. ومصطلح "الجحد يساير روح اللغة أكثر من مصطلح النفى الذى يساير روح الفلسفة وأن استقرار مصطلح الإثبات راجح لأنه قد سارت به الركبان" [٣]. وعقد ابن السكيت للجحد بابين يقول فى الأول: "باب ما يتكلم فيه بالجحد"[٤]. وفى الثانى: "ما لا يتكلم فيه إلا بجحد"[٥].

٢٠- **الصلة**:

أطلقه (الفراء) على ما يسميه البصريون بالزيادة والحشو ففى إعراب قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُم﴾ [٦]. يقول: "العرب تجعل (ما) صلة فى المعرفة والنكرة واحداً" [٧].

ونسب (ابن يعيش) الصلة والحشو إلى الكوفيين، كما نسب الزيادة والإلغاء إلى البصريين[٨].

---

(١) انظر: أباالبركات الأنبارى، الإنصاف، ٣٦٦/١ (المسألة الثالثة والخمسون)، وأسرار العربية، ص٢٤٦. والرضى، شرح الكافية، ٢٥٥/١. وابن يعيش، شرح المفصل، ١٠٦/١ وما بعدها.

(٢) معانى القرآن، ٥٢/١.

(٣) د. أحمد مكى الأنصارى، أبوزكريا الفراء ومذهبه فى دراسة النحو واللغة، ص٤٤٢.

(٤) إصلاح المنطق، ص٣٨٣.

(٥) السابق، ص٣٨٥.

(٦) سورة آل عمران/ ١٥٩.

(٧) معانى القرآن، ٢٤٤/١.

(٨) شرح المفصل، ١٢٨/٨.

ومن المصطلحات الكوفية للزائد تسميتهم له عـــازلاً، قـــال الشـــاعر: (البسيط)

"بنى غدانة ما إن أنتم ذهبـــا ولا صريفاً ولكن أنتم الخـزف

فإن فى هذا البيت نافية عازلة عند الكوفيين، وزائدة عند البصريين" [١].

ومما سبق، فإن اصطلاح الزيادة يطلق على حرف الجر وغيره من الحروف والقول فى هذه المصطلحات كثير[٢].

٢٢- الفعل:

أطلقه الفراء على (الاسم) كثيراً. قال: "والقياس فيه مستمر أن يفرق بين الفعل المذكر والمؤنث بالهاء،- إلا أن العرب قالت: امرأة حـــائض وطـــاهر وطامث وطالق... فلم يدخلوا فيهن الهاء، وإنما دعـــاهم إلى ذلـــك أن هـــذا وصف لاحظ فيه للذكر، وإنما هو خاص للمؤنث، فلم يحتاجوا إلى الهاء، لأنها إنما دخلت فى قائمة وجالسة لتفرق بين فعل الأنثى والذكر" [٣].

كما يطلق مصطلح الفعل وهو يريد (الحال) [٤]. كما يطلـــق اصـــطلاح (الفعل) على خبر كان وظن وأخواتهما[٥].

---

(١) شرح الكافية، ٢٦٧/١. وابن هشام، أوضح المسالك، ٢٦٦/١.

(٢) انظر: الزبيدى، الواضح فى علم العربية، ص١٩. وابن هشام، مغـــنى اللبيـــب، ص٧٢٨. والسيوطى، همع الهوامع، ٤١٣/٢ وما بعدها.

(٣) المذكر والمؤنث، ص٥٨.

(٤) انظر: معانى القرآن، ٥٥/١.

(٥) انظر: الفراء، معانى القرآن، ٤٠٩/١.

٢٢- الترجمة والتبيين والتكرير والمردود:

مصطلحات كوفية لما يسمى عند البصريين بدلاً، فثعلب يقول عند الكلام على قوله عز وجل: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٍ﴾ [١]: (فيومئذ) مرافع، و(يوم عسير) ترجمة يومئذ[٢].

هذه المصطلحات الكثيرة عند الكوفيين منها ما ثبتت نسبته إلى أصحابه ومنها ما ينسب إلى الكوفيين بصفة عامة، فإلى الفراء ينسب اصطلاح الترجمة[٣]. وإليه ينسب اصطلاح المردود فهو عندما أعرب قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا﴾[٤]. قال: "إن جعلت (من) مردودة على خفض الناس، فهو من هذا و(استطاع) فى موضع رفع، وإن نويت الاستئناف (بمن) كانت جزاء وكان الفعل بعدها جزماً"[٥].

* * *

(١) سورة المدثر/ ٩.
(٢) مجالس ثعلب، ١/٢٠.
(٣) انظر: تفسير الطبرى، ٥/٢٤.
(٤) سورة آل عمران/ ٩٧.
(٥) معانى القرآن، ١/١٧٩.

٢- مصطلحات كوفية رفضها البصريون:

١- الصرف:

أطلق الفراء مصطلح (الصرف) ويقصد به النصب فى بابين من أبواب النحو، أولهما المضارع المنصوب بعد الواو، والفاء، وأو، والآخر المفعول معه. وقد شرح (الفراء) المقصود بهذا المصطلح الذى أطلقه شرحاً دقيقاً بعد أن وضع تساؤلاً يقول: وما الصرف؟ وأجاب عنه بقوله: "أن تأتى بالواو معطوفة على كلام فى أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عُطف عليها، فإذا كان كذلك فهو الصرف[١]. كقول الشاعر: (الكامل)

لا تنه عن خلق وتأتى مثلـــه عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

ألا ترى أنه لا يجوز إعادة (لا) فى "تأتى مثله"، فلذلك سمى صرفاً، إذ كان معطوفاً ولم يستقم أن يعاد فيه الحادث الذى قبله. ومثله من الأسماء التى نصبتها العرب وهى معطوفة على مرفوع قولهم: لو تُركت والأسدَ لأكلك، ولو خُليت ورأيك لضللتَ..." [٢].

وعرف (الفراء) الصرف فى موضع آخر حين توقف أمام نصب الفعل (يعلم) بعد الواو فى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [٣]. قال: "وهو الذى يسميه النحويون الصرف، كقولك: لم آته وأُكرمه إلا استخف بى، والصرف أن يجتمع الفعلان بالواو أو ثم أو الفاء أو

---

(١) قال محققا الكتاب: "يسمى الكوفيون هذه الواو واو الصرف، إرشاداً بصرفه عن سنن الكلام إلى أنها غير عاطفة، وشرط هذه الواو أن يتقدمها نفى أو طلب".

(٢) معانى القرآن، ٣٤/١. وانظر: ابن هشام، أوضح المسالك، ١٦٤/٤. وابن يعيش، شرح المفصل، ٢٤/٧.

(٣) سورة آل عمران/ ١٤٢.

أو، وفى أوله جحد[١] أو استفهام، ثم ترى ذلك الجحد أو الاستفهام ممتنعاً أن يُكر فى العطف؛ فذلك-الصرف" [٢].

وأشار (الرضى) إلى أن الفراء استعمل مصطلح الخلاف قاصداً به المفهوم نفسه الذى يحمله الصرف، فالفعل المضارع بعد الواو والفاء وأو منصوب عند الفراء على الخلاف، وشرح (الرضى) رأيه قائلاً: "إن المعطوف بها صار مخالفاً للمعطوف عليه فى المعنى، فخالفه فى الإعراب، كما انتصب الاسم الذى بعد الواو فى المفعول معه لما خالف ما قبله، وإنما حصل التخالف ههنا بينهما لأنه طرأ على الفاء معنى السببية وعلى الواو معنى الجمعية وعلى أو معنى النهاية أو الاستثناء" [٣].

والحقيقة أن الخلاف والصرف يتصلان بالمعنى أو الدلالة أكثر من اتصالهما بالنحو، والدليل على ذلك الشرح الذى قدمه الرضى لمصطلح الخلاف وإشارته للمعانى التى تطرأ على الفاء والواو وأو، ومن هنا فإن النصب للفعل (تشرب) فى قولهم "لا تأكل السمكَ وتشربَ اللبنَ"- مثلاً- إنما هو نصب دلالى، سواء أكان على الصرف أم الخلاف، فائدته النهى عن الجمع أو الجمعية- على حد تعبير الرضى- بين أكل السمك مع شرب اللبن، لذلك حُق للرضى أن يجعل الخلاف عند الفراء عاملاً معنوياً ينصب ما بعده.

وعلى ذلك، فإن الصرف جعله الفراء عامل النصب فى المفعول معه والفعل المضارع بعد واو المعية، والفاء، وثم، وأو.

---

(١) الجحد: النفى.

(٢) معانى القرآن، ١/٢٣٥.

(٣) شرح الكافية، ١/٢٤١.

والبصريون جعلوا عامل النصب فى المفعول معه الفعل بتوسط الواو، وفى الفعل المضارع بأن مضمرة.

٢- الفعل الدائم:

يطلق الكوفيون هذا المصطلح على ما يسمى عند البصريين باسم الفاعل[١] وكثيراً ما يسميه الكوفيون فعلاً إذا كان عاملاً[٢] فهو عندهم ثالث أقسام الفعل، إذ رفضوا فعل الأمر وجعلوه مقتطعاً من المضارع. وأحلوا مصطلح الفعل الدائم محله[٣].

إن تسمية اسم الفاعل فعلاً أو فعلاً دائماً فيها تجوز كبير، فللفعل علامات لا تنطبق عليه وعندئذ يخرج من دائرة الأفعال أما كونه دائماً، فاختلاف النحويين فى عمله إذا كان ماضياً أو كان بمعنى الحال والاستقبال كبيراً [٤]، وإذا كان يعمل عمل الفعل فذلك لا يخرجه عن دائرة الأسماء لانطباق علامات الأسماء عليه من تعريف وتنوين وإضافة ونحوها.

٣- التقريب:

من المصطلحات التى استحدثها الكوفيون وتحتاج إلى توجيه خاص ما أطلقوا عليه اسم التقريب، وقد شرح أبوالعباس ثعلب المقصود به قائلاً: "قال سيبويه: هذا زيد منطلقاً، فأراد أن يخبر عن هذا بالانطلاق ولا يخبر عن زيد، ولكنه ذكر زيداً ليُعلم لمن الفعل. قال أبوالعباس: وهذا لا يكون إلا تقريباً،

---

(١) معانى القرآن، ١/١٦٥.

(٢) السابق، ١/٣٣، ٤٥، ٤٩.

(٣) ثعلب، مجالس ثعلب، ١/٤٤، ٣٠٩.

(٤) الرضى، شرح الكافية، ٢/٢٠٢.

وهو (يقصد سيبويه) لا يعرف التقريب، والتقريب مثل (كان) إلا أنه لا يُقدم فى (كان)؛ لأنه رد كلام فلا يكون قبله شيء" [١]. ومن هنا فالتقريب عند نحاة الكوفة هو اسم الإشارة حين يليه الخبر وحال منصوبة، فالجملة "هذا زيد منطلقاً" هذا: مبتدأ، وزيد: خبر، ومنطلقاً: حال، وهذا الإعراب عليه جمهور النحاة، ولكن الكوفيين يأبون ذلك ويجعلون اسم الإشارة "هذا" مشبهاً لـ(كان) و"زيد" الاسم و"منطلقاً" الخبر للتقريب.

ويزيد (ثعلب) الأمر وضوحاً فى مجلس آخر من مجالسه حين توقف أمام الجملة: "كيف أخاف الظلمَ وهذا الخليفةُ قادماً" مشيراً إلى أن الأصل المقدر للجملة هو "الخليفة قادم" ويضيف: "فكلما رأيت "هذا" يدخل ويخرج المعنى واحد فهو تقريب" [٢].

ويوضح (السيوطى) مفهوم المصطلح عند نحاة الكوفة بقوله: "ذهب الكوفيون إلى: أن هذا وهذه إذا أريد بهما التقريب كانا من أخوات كان فى احتياجهما إلى اسم مرفوع وخبر منصوب نحو: كيف أخافُ الظلمَ وهذا الخليفةُ قادماً؟ وكيف أخاف البردَ وهذه الشمسُ طالعة"، وكذلك كل ما كان فيه الاسم الواقع بعد أسماء الإشارة لا ثانى له فى الوجود نحو: "هذا ابن صياد أشقى الناس"، فيعربون هذا تقريباً، والمرفوع اسم التقريب، والمنصوب خبر التقريب؛ لأن المعنى إنما هو على الإخبار عن الخليفة بالقدوم، وعن الشمس بالطلوع، وأتى باسم الإشارة تقريباً للقدوم والطلوع. ألا ترى أنك لم تشر

---

(١) مجالس ثعلب، ص٤٣.

(٢) السابق، ص٣٥٩، وانظر: الفراء، معانى القرآن، ١٢/١. وقادماً: حال عند نحاة البصرة، وهذا ما يجب الالتزام به.

إليهما وهما حاضران، وأيضاً فالخليفة والشمس معلومان، فلا يحتاج إلى تبيينهما بالإشارة إليهما. وتبين أن المرفوع بعد اسم الإشارة يخبر عنه بالمنصوب؛ لأنك لو أسقطت الإشارة لم يختل المعنى، كما لو أسقطت كان من كان زيد قائماً" (١).

ومما سبق، فإن الكوفيين أطلقوا على اسم الإشارة مصطلح (التقريب)، وأعملوه (التقريب) عمل كان وأخواتها، فيليه اسم وخبر نحو: هذا زيد قائماً.

البصريون: اسم الإشارة مبتدأ وما بعده خبر، والاسم المنصوب حال.

٤- **الخروج**:

لم يضع (الفراء) لهذا المصطلح حداً، ولكنه صدر عنه استعمالاً فعندما أعرب قول الله عز وجل: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَه﴾ (٢). قال: "وقوله "قادرين" نصبت على الخروج من نجمع كأنك قلت فى الكلام: أتحسب أن لن نقوى عليك، بلى قادرين على أقوى منك. يريد: بلى نقوى قادرين، بلى نقوى مقتدرين على أكثر من ذا"(٣).

* * *

(١) همع الهوامع، ٤١٥/١ وما بعدها.

(٢) سورة القيامة/ ٣، ٤.

(٣) معانى القرآن، ٢٠٨/٣.

٣- مصطلحات بصرية رفضها الكوفيون وأقاموا مصطلحات جديدة مكانها:

١- فعل الأمر:

ينقسم الفعل إلى (ماض ومضارع وأمر) عند البصريين. فهو ثلاثة أقسام عند سيبويه[١]. قال أبوالبركات ابن الأنبارى: "إن قال قائل: لم كانت الأفعال ثلاثة؟ قيل: لأن الأزمنة ثلاثة، ولما كانت ثلاثة وجب أن تكون الأفعال ثلاثة ماض وحاضر ومستقبل"[٢].

والفعل عند الكوفيين قسمان (بإسقاط الأمر) على أنه مقتطع من المضارع. قال السيوطى: "الفعل ثلاثة أقسام خلافاً للكوفيين فى قولهم قسمان، وجعلهم الأمر مقتطعاً من المضارع"[٣].

اختلف النحاة فى بناء فعل الأمر وإعرابه، فذهب البصريون إلى أنه مبنى على السكون؛ لأن الأصل فى الأفعال البناء، والأصل فى البناء أن يكون على السكون. وذهب الكوفيون إلى أنه معرب، وإعرابه الجزم. واحتجوا بأن قالوا: "إنما قلنا إنه معرب مجزوم لأن الأصل فى الأمر للمواجه فى نحو "افعلْ" "لتفعلْ"، كقولهم فى الأمر للغائب "ليفعلْ" [٤].

٢- أسماء الأفعال:

من أبواب النحو التى لقيت اهتمام القدماء والمحدثين "أسماء الأفعال"، وذلك من حيث تصنيفها بين أقسام الكلمة الثلاثة، وهل هى قسم قائم بذاته،

---

(١) الكتاب، ١/ ١٢.

(٢) أسرار العربية، ص٣١٥.

(٣) همع الهوامع، ١/ ٣٤. وانظر: أباالبركات الأنبارى، الإنصاف فى مسائل الخلاف، ٢/ ٥٢٤ (المسألة الثانية والسبعون).

(٤) أبوالبركات الأنبارى، الإنصاف فى مسائل الخلاف، ٢/ ٥٢٤ وما بعدها.

وقد أشار بعض المحدثين إلى أن أبابكر جعفر أحمد بن صابر القيسى المغربى الأندلسى أحد نحاة القرن الثامن الهجرى قد أطلق على أسماء الأفعال مصطلح (الخالفة)، ولكن الفراء سبقه إلى ذلك حين أسماها (الخلفة) فى نص طويل يقول فيه: "وقوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُم﴾ [١]. كقولك: كتاباً من الله عليكم. وقد قال بعض أهل النحو، معناه: عليكم كتاب الله (عليكم: اسم فعل أمر بمعنى الزموا) والأول أشبه بالصواب، وقلما تقول العرب: زيداً عليك، أو زيداً دونك، وهو جائز كأنه منصوب بشيء مضمر قبله" [٢]. وأسماء الأفعال هى أسماء للمصادر النائبة عن الأفعال، كما قال بذلك جماعة من البصريين. لم يوافق الكوفيون على تسميتها بهذه الأسماء، وعدوها أفعالاً حقيقية[٣].

٣- **ألقاب الإعراب والبناء**:

ذهب البصريون إلى التمييز بين علامات الإعراب وعلامات البناء، فى حين رفض الكوفيون التسليم بهذه الألقاب، ولم يفرقوا بين ما هو للبناء منها وما هو للإعراب[٤].

٤- **المفاعيل**:

زعم الكوفيون أن "الفعل إنما له مفعول واحد، وهو المفعول به، وباقيها (المفعول المطلق- المفعول له، المفعول معه، المفعول فيه) ليس شيء منها مفعولاً، وإنما شبه بالمفعول" [٥].

---

(١) سورة النساء/ ٢٤.

(٢) معانى القرآن، ١/ ٢٦٠.

(٣) انظر: خالد الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح، ٢/ ١٩٥.

(٤) شرح الكافية، ٢/ ٣.

(٥) السيوطى، همع الهوامع، ٢/ ٦.

٥- عطف البيان:

قال السيوطي: "هذا الباب يترجم له البصريون، ولا يترجم له الكوفيون"[١].

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن الكوفيين حين استعملوا مصطلحاتهم كانوا- فى الأغلب الأعم- يهدفون إلى مخالفة نحاة البصرة، ولكن الذى يحسب لعلماء الكوفة، وعلى رأسهم الفراء، أن ما ورد عندهم من مصطلحات كان بعضه يتصل اتصالاً مباشراً بالمعانى النحوية للأبواب المختلفة التى كانوا يعرضون لها، والدلالة التى يمكن التوصل إليها خلال الجمل، فضلاً عن ارتباطها بالعامل النحوى، فالبدل حين يسمى تكريراً المقصود بذلك تكرار العامل، وحين يسمى مفسراً المقصود بذلك تفسيره للمبدل منه... وهكذا.

* * *

(١) الأشباه والنظائر، ٢/١٠٢.

الخاتمـــة

لقد كان الخلاف فى المصطلح النحوى كبيراً بين البصريين والكوفيين حتى شاع بين الدارسين المتأخرين أن هذا المصطلح بصرى وذاك المصطلح كـــوفى، ولقد أفاد المصطلح النحوى من خصومة الفريقين فائدة كبيرة إذ نظـــر كـــل فريق إلى مصطلحات كتاب سيبويه نظرة الناقد، ثم شرع فى تهذيبها وتطويرها حتى وصلوا بها جميعاً إلى الاستقرار الذى لم يكن من اليسير على ســـيبويه أن يصل بالمصطلحات النحوية إليه، فالاستقرار مرحلة تاليـــة لمرحلـــة شـــهدت مدارسات وخصومات شديدة، ومناظرات فى هذا العلم لم تهدأ حتى اســـتقر النحو، ورست حدوده ومصطلحاته بالشكل الذى وصل إلينا.

هذا، وقد خرجت الدراسة بمجموعة من النتائج، أهمها:

أن البصرة بحق واضعة النحو، وفاتحة أبوابه حيث علـــى أيـــديهم اســـتغلظ، واستوى على عوده، فإن علم النحو الذى نما وشاع حتى عصرنا الحاضر هو النحو البصرى، فجميع ما يتعلق بالمصطلحات والأصول النحوية وردت عنهم.

أن المدرسة البصرية رائدة فى الدراسات النحوية، كما لا ينسى الإســـهام الكوفى الذى أدى إلى نضج الدرس النحوى واكتماله، وذلك من خلال إكمال الجهد البصرى باتباع المنهج الوصفى الحديث فى الدراسات اللغوية، وهذا بـــدوره أدى إلى وجود الخلاف بين المدرستين فضلاً عن التنافس العلمى بينهما.

أن البداية الحقيقية للمصطلح النحوى بصورته الناضجة كانت عند الخليل وسيبويه من خلال أول المؤلفات النحوية وهو (الكتاب) لسيبويه، أما ذكـــر الخليل هنا فذلك يرتبط بكون أن كتاب سيبويه يمثل خلاصة علم الخليـــل، ثم

توافرت جهود النحاة من بعده حتى وصل المصطلح النحوى إلى ما هو عليه.

أن مدرسة الكوفة من المدارس النحوية التى نشأت، وإن كانت نشأة متأخرة بالنسبة لجارتها البصرة، إلا أنها أوجدت لنفسها مذهباً نحوياً أصبح له قيمة فى الدرس اللغوى.

أن المدرسة الكوفية لا تباين المدرسة البصرية فى الأركان العامة للنحو، فقد بنت نحوها على ما أحكمته البصرة من تلك الأركان، التى ظلت إلى اليوم راسخة فى النحو العربى، غير أنها مع اعتمادها لتلك الأركان استطاعت أن تشق لنفسها مذهباً نحوياً جديداً، له طوابعه وله أسسه ومبادؤه.

لعل أهم ما يميز المدرسة الكوفية من المدرسة البصرية اتساعها فى رواية الأشعار وعبارات اللغة عن جميع العرب بدويهم وحضريهم، بينما كانت المدرسة البصرية تتشدد تشدداً جعل أئمتها لا يثبتون فى كتبهم النحوية إلا ما سمعوه من العرب الفصحاء الذين سلمت فصاحتهم من شوائب التحضر وآفاته.

كان الفراء – يحاول بكل جهده – أن يضع تفسيراً جديداً لبعض الكلمات والأدوات كما كان يحاول جاهداً – أيضاً – أن يضع فى النحو مصطلحات جديدة، مستعيناً فى ذلك كله بعقله المتفلسف الخصب. وما زال يلح فى ذلك حتى استطاع حقاً أن يكون للكوفة مدرسة مستقلة فى النحو.

أصبح نحو الكوفة منطبعاً بصورة الخلاف مع البصريين تكثر فيه المصطلحات الخاصة، ويمتزج بمخالفة الآخرين فى تحليل بعض الكلمات والأدوات والعوامل والمعمولات. مع مد القياس وبسطه ليشمل كثيراً من اللغات بما فى ذلك الشاذ منها، ومخالفة القياس حتى فى القراءات.

كانت الخصومة على المصطلح النحوى بين البصريين والكوفيين تدور على محور واحد هو ميل الكوفيين وخاصة (الفراء) إلى تبديل وتغيير مصطلحات البصريين.

المصطلح النحوى البصرى هو الذى استخدم واشتهر، ولم يشتهر من المصطلح الكوفى إلا النعت وعطف النسق

تمثل المصطلحات فيما بينها، عدة علاقات من علاقات المعنى أو علاقات الدلالة، من ذلك علاقة الترادف، نحو استخدام مصطلحات التفسير والتبيين والتكرير والمردود والترجمة والمكرور، والبدل، للتعبير عن مفهوم واحد، هو مفهوم البدل. وعلاقة الاشتراك اللفظى نحو استخدام مصطلح المفرد للتعبير عن عدة مفاهيم مختلفة، واستخدام التفسير، والتبيين، والمبين لكل من البدل والتمييز، ومن تلك العلاقات أيضاً، أن نجد علاقة عموم وخصوص بين المصطلحات، ومن ثم بين المفاهيم التى تمثلها، فالتابع مثلاً مصطلح أم، تندرج تحته عدة مصطلحات فرعية تمثله، كما يمثل مفهومه، ما يعرف فى علم المصطلح بالمفهوم المفتاح (Nation – cle) أى المفهوم الأساس، الذى تندرج تحته مجموعة من المفاهيم التابعة له.

لقد حاول الفراء بما أوتى من مقدرة عقلية وثقافة ومعرفة أن يضع تفسيراً جديداً لبعض العبارات والأدوات، حتى استطاع أن يضع مصطلحات خاصة شكلت فى مجملها مصطلحات المدرسة الكوفية. وتنقسم هذه المصطلحات إلى ثلاثة أنماط هى:

نمط استعمله الفراء كما هو عند البصريين. ومنه: ألقاب الإعراب، والبناء والتنوين أو النون، والتصغير أو التحقير، والماضى والمستقبل.

ونمط آخر ابتكر له الفراء اسم المصطلح كما ابتكر مسماه إذ إن البصريين لا يعرفون أو لا يعترفون بهذا النمط الجديد وليس عند البصريين ما يقابل هذه المصطلحات؛ لأن الفراء كان قد انتزع موضوعها انتزاعاً من النحو. وابتكر لها هذه المصطلحات وهى: الخالفة والتقريب والخلاف أو الصرف أو الخروج.

وهناك نمط ثالث وضع له الفراء اصطلاحاً جديداً غير الذى كان عند البصريين ومن ذلك: العماد والصلة والجحد والإقرار والتشديد والتكرير.

الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية :

د. أحمد كمال زكى:

- الحياة الأدبية فى البصرة إلى نهاية القرن الثانى الهجرى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.

د. أحمد مختار عمر:

- البحث اللغوى عند العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

د. أحمد مكى الأنصارى:

- أبو زكريا الفراء ومذهبه فى دراسة النحو واللغة، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦٤م.

الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد):

- تهذيب اللغة، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

الأعلم الشنتمرى (يوسف بن سليمان بن عيسى):

- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب فى علم مجازات العرب، تحقيق د. زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

الأصفهانى (أبو الفرج على بن الحسين):

- الأغانى، دار الكتب، القاهرة، د.ت.

الأنبارى (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد):

- أسرار العربية، تحقيق/ محمد بهجة البيطار، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٥٧م.
- الإنصاف فى مسائل الخلاف، تحقيق/ محمد محى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، ١٩٩٣م.
- نزهة الألباء فى طبقات الأدباء، تحقيق/ إبراهيم السامرائى، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٧٠م.

ابن الأنبارى (أبو بكر محمد بن القاسم):

- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م.

البغدادى (أبو بكر أحمد بن على بن ثابت):
- تاريخ بغداد، دار الكتاب العربى، بيروت، د.ت.

البغدادى (عبد القادر بن عمر):
- خزانة الأدب ولب لباب العرب، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، الخانجى، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى):
- مجالس ثعلب، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، د. ت.

الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ):
- البيان والتبيين، تحقيق وشرح/ عبد السلام محمد هارون، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

ابن الجزرى (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد):
- غاية النهاية فى طبقات القراء، عنى بنشره/ برجشتراسر، الخانجى، القاهرة، د.ت.

خالد الأزهرى (زين الدين خالد بن عبدالله بن أبى بكر الجرجاوى):
- شرح التصريح على التوضيح لألفية ابن مالك، المطبعة الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثانية، د. ت.

ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبى بكر):
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/ محمد محى الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

الخوارزمى (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف):
- مفاتيح العلوم، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٢هـ- ١٩٢٢م.

الرضى (رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى النحوى):
- شرح الكافية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

الزبيدى (أبو بكر محمد بن الحسن):
- طبقات النحويين واللغويين، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
- الواضح فى علم العربية، تحقيق د. أمين على السيد، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

الزجاجى (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق):

- الإيضاح فى علل النحو، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٩٦م.

سيبويه(أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر):

- الكتاب، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د. ت.

سعيد الأفغانى:

- من تاريخ النحو، دار الفكر، دمشق، د. ت.

ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق):

- إصلاح المنطق، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، د. ت.

ابن سلام (محمد بن سلام الجمحى):

- طبقات فحول الشعراء، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى، القاهرة، ١٩٨٧م.

السيرافى (أبو سعيد الحسن بن عبد الله):

- أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض، تحقيق/ محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت.

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر):

- الأشباه والنظائر فى النحو، وضع حواشيه، غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، تحقيق/ محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت.
- همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع، تحقيق د. عبد الحميد هنداوى، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت.

د. شوقى ضيف:

- المدارس النحو، دار المعارف القاهرة، الطبعة السادسة، د. ت.

الطبرى (أبو جعفر بن يزيد بن محمد بن جرير):
- جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مراجعة/ أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

أبو الطيب (عبد الواحد بن على اللغوى الحلبى):
- مراتب النحويين، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

د. عبد العال سالم مكرم:
- القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- المدرسة النحوية فى مصر والشام فى القرنين السابع والثامن من الهجرة، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٠م.

د. عبد الصبور شاهين:
- العربية: لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

د. عبده على الراجحى:
- دروس فى المذاهب النحوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م.

على بن محمد الجرجانى:
- التعريفات، تحقيق/ إبراهيم الإبيارى، دار الريان للتراث، القاهرة، د.ت.

ابن العماد (عبد الحى بن أحمد):
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، مكتبة القدسى، القاهرة، د.ت.

د. عون الشريف قاسم:
- شعر البصرة فى العصر الأموى- دراسة فى السياسة والاجتماع، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

الفاكهى (جمال الدين عبد الله):
- الحدود النحوية، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ت.

الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد):
- المذكر والمؤنث، تحقيق د. رمضان عبد التواب، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٥م.
- معانى القرآن، الجزء الأول: تحقيق/أحمد يوسف نجاتى، محمد على النجار.
الجزء الثانى: تحقيق/ محمد على النجار.

الجزء الثالث: تحقيق/ عبد الفتاح إسماعيل شلبى، على النجدى ناصف، الهيئة المصرية العامة للتأليف، ١٩٧٢م، ١٩٨٠م.

القفطى (جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف):

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م.

المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد):

- المقتضب، تحقيق/ محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

د. محمد أحمد العمروسى:

- أثر الأحكام النحوية فى الفروع الفقهية، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

محمد الشاطر أحمد محمد:

- الموجز فى نشأة النحو، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٣م.

محمد الطنطاوى:

- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٧٣م.

د. محمود سليمان ياقوت:

- أصول النحو العربى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- النحو العربى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤م.

د. محمود فهمى حجازى:

- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب، القاهرة، د. ت.

المفضل بن سلمة:

- مختصر المذكر والمؤنث، تحقيق د. رمضان عبد التواب، القاهرة، د.ت.

د. مهدى المخزومى:

- مدرسة الكوفة ومنهجها فى دراسة اللغة والنحو، دار الرائد العربى، بيروت، الطبعة الثالثة، د. ت.

ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصارى):

- لسان العرب، تحقيق/ عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلى، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

ابن النديم (محمد بن إسحق):

- الفهرست، المكتبة التجارية، القاهرة، د.ت.

ابن هشام (جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصارى):

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد البقاعى، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق د. مازن المبارك، ومحمد على حمد الله، راجعه، سعيد الأفغانى، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.

د. وليد حسين:

- نظرية النحو العربى فى ضوء تعدد أوجه التحليل النحوى، دار فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠٠٩م.

ياقوت الحموى:

- معجم الأدباء، تحقيق/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩٣م.

ابن يعيش (موفق الدين، أبو البقاء، يعيش بن على بن يعيش النحوى):

- شرح المفصل، مكتبة المتنبى، القاهرة، د. ت.

المجلات:

د. يحيى عبد الرءوف:

- الاصطلاح، مصادره ومشاكله وطرق توليده، مجلة اللسان العربى، العدد (٣٦)، القاهرة، ١٩٩٢م.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

A. S. Hornby with A. P. Cowie, A. C Gimson:

- *Oxford advanced learneres's dictionary of current English, Oxford, ١٩٧٤.*

william D. Halsey:

- *Dictionary Macmillian,London,Macmillian, Publishing co, ١٩٧٣.*

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، أجمعين، وبعد.

فلقد كان الخلاف فى المصطلح النحوى كبيراً بين البصريين والكوفيين؛ حتى شاع بين الدارسين المتأخرين أن هذا المصطلح بصرى وذاك مصطلح كوفى، ولقد أفاد المصطلح النحوى من خصومة الفريقين فائدة كبيرة إذ نظر كل فريق إلى مصطلحات كتاب سيبويه نظرة الناقد، ثم شرع فى تهذيبها وتطويرها، حتى وصلوا بها جميعاً إلى الاستقرار الذى لم يكن من اليسير على سيبويه أن يصل بالمصطلحات النحوية إليه، فالاستقرار مرحلة تالية لمرحلة شهدت مدارسات وخصومات شديدة، ومناظرات فى هذا العلم لم تهدأ حتى استقر النحو، ورست حدوده ومصطلحاته بالشكل الذى وصل إلينا.

وتكمن أهمية هذا البحث من كونه يتمحور حول المصطلح النحوى بين البصريين والكوفيين، وكيفية استخدامه، وهذا يرتبط بالحديث عن أبرز سمات هاتين المدرستين، وأسباب الخلاف بينهما. ومن ثم، فإنه يمثل الأيدلوجية التى على أعتابها يمكن سبر أعماق المصطلح النحوى عند المدرستين، وأهم الخلاف فيه بينهما.

هذا، وقد قسمت البحث، بعد المقدمة، إلى تمهيد وفصلين وخاتمة. ثم ألحقت بالبحث قائمة المصادر والمراجع التى استعنت بها.

واعتمد البحث على المنهج الوصفى التحليلى فضلاً عن المنهج التاريخى.

وبعد.

فهذه محاولة قمت بها جاداً مخلصاً، فإن كانت نافعة فبـــها ونعمـــت، وإن كانت الأخرى فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة النمل/١٩)

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمـــة	٣٠٩
التمهيد	٣١٥
من أبرز نحاة الكوفة وأشهرهم	٣١٩
الفصل الأول : أسباب الخلاف فى المصطلح النحوى بين البصريين والكوفيين	٣٢٧
الفصل الثانى: أنماط الخلاف فى المصطلح النحوى بين المدرستين	٣٣٥
الخاتمة	٣٥٨
المصادر والمراجع	٣٦٢
فهرس الموضوعات	٣٧١